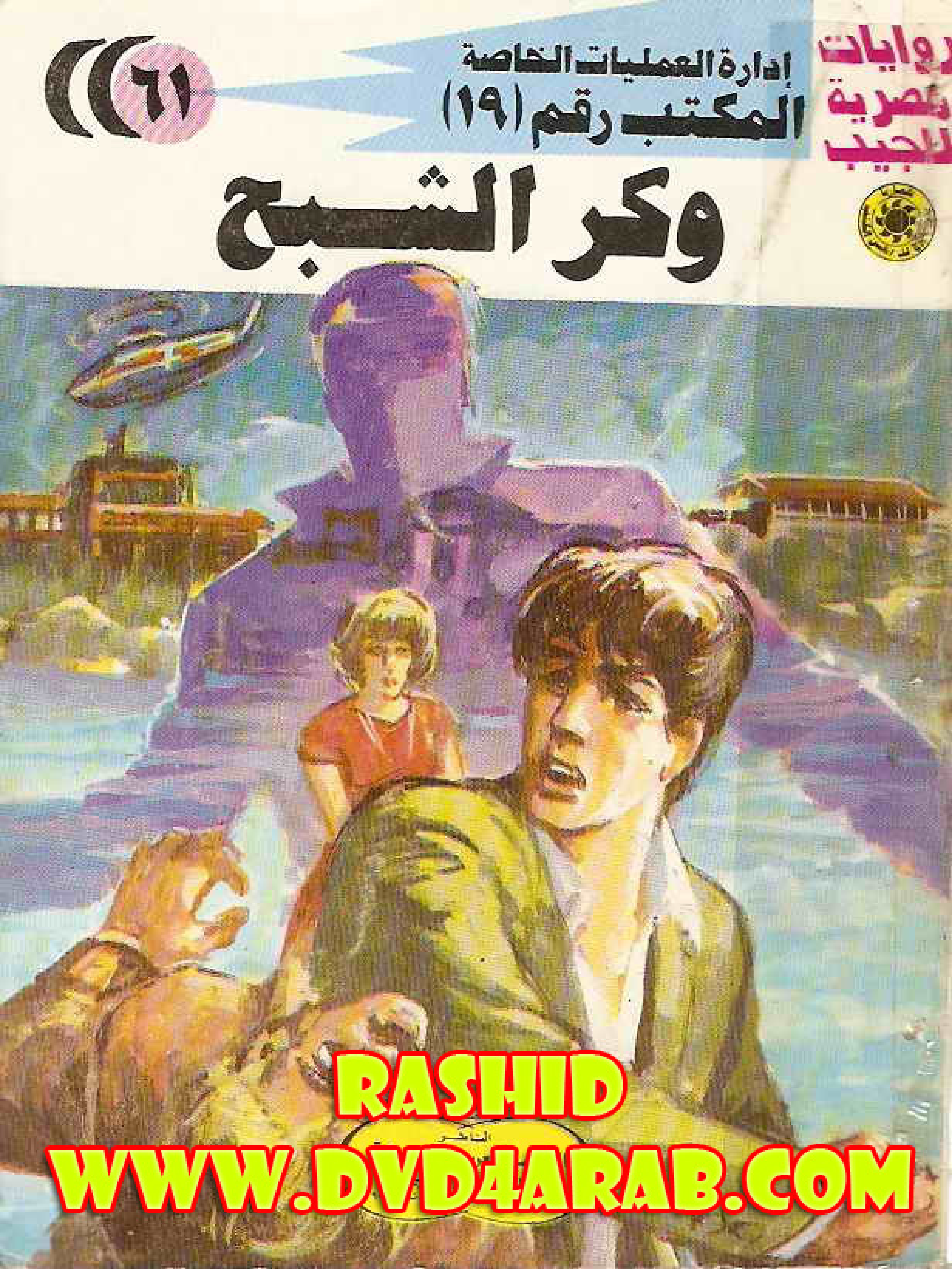

٦١
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
روايات مصرية للجيب
وكر الشبح
RASHID
WWW.DVD4ARAB.COM

١ ـ عميل مزدوج ..

توقفت سيارة الأجرة ، التى تقل ذلك الشخص النحيل ، ذا المنظار الأسود أمام الباب الخارجى لمطار (القاهرة) الدولى ، وانتظر السائق منه أن يغادرها ، بعد أن ينقده أجره ، ولكن الرجل بقى جالسًا فى مقعده ، وهو يتلفَّت يمينًا ويسارًا ، من وراء زجاج نوافذ السيارة ، وعدسات منظاره القاتمة ، حتى بدأ السائق يتململ فى مكانه ، وهو يتساءل عما يكون من أمر هذا الأجنبى الغريب ، ثم ما لبث أن التفت إليه ، قائلًا بصبر نافد :

ـ لقد وصلنا إلى المطار .

ولكن الرجل لم يأبه لقوله ، بل استمر فى تفحَّصه للمكان المحيط بالمطار بعينين ثاقبتين ، حتى قال له السائق ، وقد بدأ يرتاب فى أمره :

ـ هل تبحث عن شىء ؟ ألم تكن تريد الذهاب إلى المطار ؟.. هذا هو المطار .

تناول الرجل ثلاث ورقات نقدية ، ليقدمها إلى السائق ، وهو يقول :

ـ نعم .. أعرف ذلك .. هذا هو أجرك .

ثم أسرع بمغادرة السيارة ، متقدمًا فى اتجاه المطار ، وأخذ السائق يقلب الأوراق النقدية فى يديه ، وقد وجد أن الرجل كان سخيًا معه ، على نحو أنساه تصرفاته الغريبة طوال الطريق ، فى حين دخل الرجل النحيل إلى صالة المطار ، وقد حرص هذه المرة على أن يبدو طبيعيًا فى تصرفاته ، وطريقة سيره ، ولكن فى اللحظة التى تقدم فيها من مكتب الجوازات ، ليحصل على تأشيرة المغادرة ، كانت المفاجأة فى انتظاره ، إذ وجد نفسه محاطًا بشخصين ، عن يمينه ويساره ، وكأن الأرض قد انشقت عنهما فجأة ، إذ لم يلحظ اقترابهما مطلقًا ، وهمس له أحدهما ، وهو يضع يده فى جيب معطفه ، قائلًا :

ـ هل تسمح بأن تأتى معنا فى هدوء ، ودون لفت للأنظار ؟

قال الرجل ، وقد بدا عليه الارتباك :

ـ ما معنى هذا ؟ من أنتما ، وماذا تريدان منى ؟

أجابه محدثه بنفس النبرة الهادئة :

ـ ستعرف كل شىء فى حينه .. تفضَّل معنا أوَّلًا .

تظاهر الرجل النحيل بطاعته للأمر ، ولكنه عاجل محدثه بركلة قوية مباغتة فى ساقه ، جعلته يجثو على الأرض

وهو يتألم بشدة ، ثم اندفع يركض بكل قوته ، وهو يصطدم بمن يقابله ، وسط صرخات المسافرين ونظرات الدهشة فى أعينهم ، محاولًا الوصول إلى الباب الخارجى ، ولكنه لمح بعض رجال الشرطة يندفعون نحوه ، فركض فى الاتجاه العكسى ، وسمع من خلفه أحدهم يأمره بالتوقف ، فلم يهتم بصيحات التحذير الموجَّهة إليه ، واستمر يعدو ، محاولًا إيجاد مخرج ، حتى وجد أمامه السير المتحرِّك ، الذى توضع فوقه حقائب المسافرين ، فوثب فوقه ليتخطاه إلى الجانب الآخر ، وازداد لهاثه من شدة الركض ، وتثاقلت خطواته ، وقد حل به التعب ، فاحتمى بأحد الجدران ، ثم ضغط جانبى قاع الحقيبة الصغيرة التى يحملها بيده ، فتحرك القاع إلى أسفل عدة سنتيمترات ، كاشفًا عن مسدس يختفى داخله ، وتناوله ليصوِّبه فى اتجاه الأشخاص الذين يحاولون اللحاق به ، وأطلق رصاصة جعلتهم يتشتتون فى اتجاهات مختلفة ، وقد أخرج كل منهم سلاحه ، وشعر الرجل بأنه قد حوصر تمامًا ، وإنه لابد ملاق حتفه ، مهما حاول المقاومة ، فارتخت يده القابضة على المسدس ، وقد انتابه التردد ، ما بين الاستسلام أو الاستمرار فى المقاومة ، ولكنه لم يجد الوقت الكافى للتفكير ، إذ سُرعان

ما أحس بفوهة مسدس تلتصق بجمجمته من الخلف ، وسمع صوتًا آمرًا يقول :

ـ ألق مسدسك يا (جاك) ، ولا تعقِّد الأمر بالنسبة لك .

بقى الرجل محتفظًا بمسدسه فى يده ، وهو مايزال مترددًا ، فعاد محدثه يقول :

ـ لا تكن غبيًا .. كان يمكننا قتلك منذ الوهلة الأولى ، وأنت تحاول الهرب بهذه الطريقة الساذجة ، ولكننا أبقينا عليك حتى الآن ؛ لأننا نريد مساعدتك لا قتلك ، أما لو كنت مصرًا على أن تموت ...

وقبل أن يكمل صاحب الصوت جملته ، ألقى الرجل مسدسه معلنًا استسلامه ، فاقتاده مطاردوه إلى سيارة سوداء مسدلة الستائر خارج المطار ، تحيط به نظرات الدهشة والفضول من رواد المطار .

وانطلقت السيارة ..

★ ★ ★

فى إحدى غرف إدارة المخابرات العامة المصرية ، جرى التحقيق بمعرفة ثلاثة من المحققين بالإدارة ، مع (جاك ديفوس) ، حيث بادره أحدهم قائلًا :

ـ من الأفضل لك أن تعترف يا (جاك) ، فقد عثرنا على

(الميكروفيلم) فى حقيبتك ، وكذلك جهاز اللاسلكى ، الذى كنت تخابر به المخابرات الاسترتانية .

قال (جاك) ، وهو يحاول أن يبدو رابط الجأش :

ـ لا أفهم ماذا تعنون بذلك .. لم يكن فى حقيبتى أى (ميكروفيلم) ، وحقيبتى جرى تفتيشها وأنا قادم إلى (مصر) ، دون أن يثبت وجود أية أجهزة لاسلكية فى حوزتى .

ابتدره المحقق الثانى ، قائلًا :

ـ جهاز اللاسلكى استلمته بعد دخولك إلى (مصر) ، والذى سلمه لك شخص يدعى (جورجيان) ، وهو أرمنى يعيش فى (مصر) منذ ثلاثة وثلاثين عامًا ، وله شقة صغيرة فى (الظاهر) ، وجرى لقاء بينك وبينه فيها مرة واحدة ، ثم كان اللقاء الثانى فى محل (جروبى) ، حيث سلَّمك جهاز اللاسلكى .

وانحنى على مقعده ، ليحاصره بنظراته الحادة ، قائلًا :

ـ هل يكفيك هذا ، لتعرف أننا كنا نتابع خطواتك .. خطوة بخطوة ، منذ وصولك إلى (القاهرة) .

وعاد المحقق الأول يقول :

ـ كما أننا نعرف أيضًا أن اسمك (جاك ديفوس) ، وليس (جاك ستيورات) كما جاء فى جواز سفرك ، وأنك لست

إنجليزيًا ، ولكنك من أصل يونانى ، وجندت فى المخابرات الاسترتانية منذ خمسة عشر عامًا ، حيث حصلت على الجنسية الاسترتانية، إلى جانب جنسيتك اليونانيـة الأصلية.

وأكمل المحقق الثانى الحديث ، قائلًا :

ـ وهناك أمر آخر ، يتعيَّن عليك أن تعرفه .. نحن الذين سهَّلنا لك عملية تصوير الأماكن العسكرية والمناطق السرية بوساطة كاميرتك ، لتحصل فى النهاية على هذا (الميكروفيلم) ، لأننا كنا نعلم أننا سنسترده منك فى النهاية ، ولكننا أردنا أن نثبت عليك التهمة حتى النهاية ، ونتحقَّق من حقيقة مهمتك ، أما عن رسائلك اللاسلكية .. فقد استقبلناها بوساطة أجهزة الاستقبال الخاصة بنا ، وتأكدنا أنها لاتحوى أية معلومات ذات أهمية حقيقية.

واقترب المحقق الأول منه ، وهو ينظر إلى وجهه ، الذى أخذ يتصبب عرقًا ، قائلًا :

ـ هل تريد المزيد من المعلومات ، لتعرف أنك كنت تحت أعيننا وسيطرتنا منذ البداية ، وأن القبض عليك لم يكن بالنسبة لنا سوى مسألة وقت ؟

نكس (جاك) رأسه وقد بدا مستسلمًا ، ثم قال بعد برهة :

ـ والآن .. ماذا ستفعلون بى ؟

أجابه المحقق الثانى :

ـ الذى نفعله مع كل جاسوس .. سنقدمك للمحكمة بتهمة التجسّس ، ومعك مختلف الأدلة التى تثبت التهمة عليك .. وستكون العقوبة غالبًا هى .. الإعدام .

وفى تلك اللحظة ، تحدَّث المحقِّق الثالث ، الذى ظل صامتًا طوال الوقت ، يراقب مجريات التحقيق ، قائلًا :

ـ غير أننا يمكن أن نجنبك هذا المصير ، لو قبلت أن تتعاون معنا .

تطلَّع إليه (جاك) ، وقد أطلَّت من عينيه نظرة أمل ، قائلًا :

ـ أتقصد أن أكون عميلًا مزدوجًا .

قال المحقق الثالث ، الذى يبدو رئيسًا للمحققين الآخرين :

ـ يمكنك أن تقول هذا .. إننا لن نجندك للعمل لحسابنا فى مهمة محددة ، ولكننا سنطلب منك تزويدنا ببَعض المعلومات التى نحتاجها من آن لآخر ، ولو قبلت أن تتعاون معنا فى هذا الشأن ، لن نجنبك عقوبة الإعدام فقط ، ولكننا سنرد إليك حريتك أيضًا .

بدا الارتياح على وجه (جاك) ، لدى تلقيه لهذا العرض ، فأبدى موافقته سريعًا ، قائلًا :

ـ إننى أقبل هذا العرض .

ابتسم رئيس المحققين ، قائلًا :

ـ الأمر ليس بمثل هذه البساطة .. هناك أوراق ستوقعها ، وهناك ضمانات لابد من الحصول عليها ، حتى نضمن ولاءك لنا ، وأنك لن تحاول خداعنا فى المستقبل .

قال (جاك) ، بعد برهة من التفكير :

ـ أنا مستعد لأية ضمانات تريدونها ، فأنا أعلم أن لحياتى ثمنها .

اقترب منه رئيس المحققين ، قائلًا :

ـ حسن .. قبل أن نبدأ فى التحدث عن الضمانات ، نريد دليلًا واقعيًا على أنك مستعد للتعاون معنا ..

إن عملاء صغارًا أمثالك لايمثلون أهمية حقيقية بالنسبة لنا فى الواقع ، ومن السهل وضعهم تحت السيطرة منذ اللحظة الأولى ، التى يبدءون فيها أداء مهامهم ، ولكن هناك عملاء آخرين لهم ثقلهم فى جهاز المخابرات الاسترتانى ، وهم يمثلون خطورة حقيقية على أمننا القومى ؛ لذا فلابد من متابعة خطواتهم دائمًا ، والبحث عنهم أينما كانوا ؛ لأننا

لو أغفلنا أعيننا عنهم لحظة واحدة ، فقد يشكل هذا خطرًا علينا .

ثم تناول صورة من جيبه ، ليلقيها أمام العميل الأسترتانى على المائدة ، قائلًا :

ـ أشخاص من أمثال هذا الرجل .

تطلَّع (جاك) إلى الصورة الموضوعة أمامه ، وقد علا وجهه شىء من الدهشة ، ثم مالبث أن لاذ بالصمت ، فاقترب منه رئيس المحققين ، وهو يضغط كلماته ، قائلًا بلهجة آمرة :

ـ أريد أن أعرف أين يوجد الآن (توماس مالون) ، أو الشبح كما تطلقون عليه فى المخابرات الأسترتانية .

ازدرد (جاك) لعابه فى صعوبة ، وهو يتطلَّع إليه ، فتراجع المحقِّق ، مستطردًا بصوت حازم :

ـ هذا هو المطلوب منك بالتحديد .

* * *



٢ ـ معركة الآثار المفقودة ..

توقفت سيارة الجيب ، بالقرب من الجسر المطل على بحيرة عميقة ، حيث كان (ممدوح) جالسًا إلى جوار السائق في حين جلس في المقعد الخلفي شخص ضخم الجثة ، شرس الملامح ، يرمقه بنظرات نارية ، والتفت الشخص الجالس إلى جوار (ممدوح) ، أمام عجلة القيادة ، قائلًا :

ـ هذا هو المكان .. أهبط لأرشدك إلى الآثار التي تبحث عنها .

ـ انتظر (ممدوح) قليلًا ، وهو يلقى نظرة سريعة على المكان ، قبل أن يغادر السيارة ، وبينما كان يبارح مقعده ، تعمد أن يمسك حافته ، ليثبت جهازًا لاسلكيًا دقيقًا أسفله ، دون أن يلحظه أحد ، وسار بصحبة الرجلين ، وقد تعمد الشخص الضخم الجثة أن يسير خلفه بخطوتين ، وقبل أن يصلوا إلى حافة الجسر ، تناول ذلك الشخص آلة معدنية من جيبه ، وقد ازدادت نظراته وعيدًا ، ثم ما لبث أن هوى بها على رأس (ممدوح) في قوة .

وأحس (ممدوح) بألم شديد ، أعقبه دوار أراد أن يتغلب

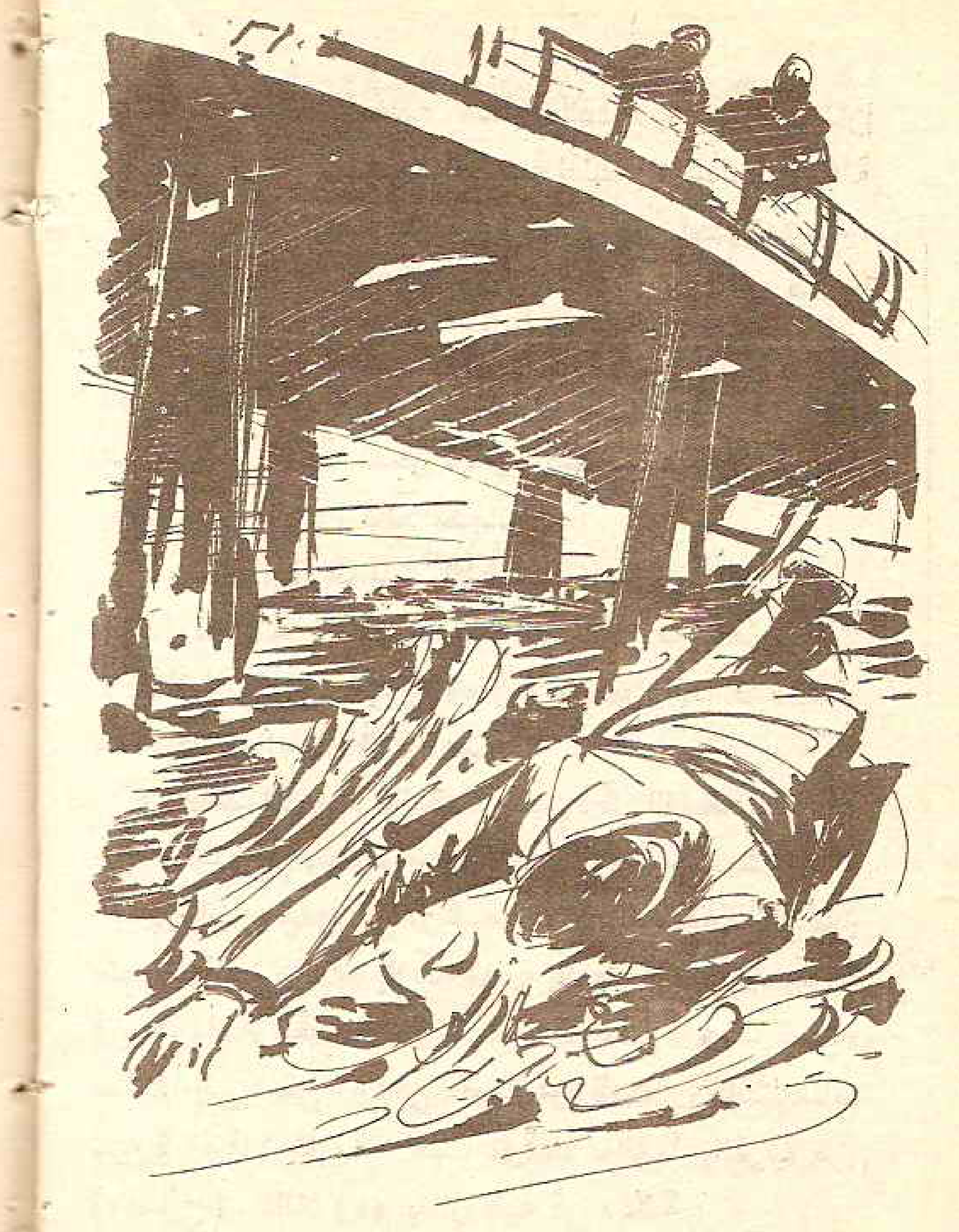
عليه ، وهو يستدير خلفه ، محاولًا الدفاع عن نفسه ، ولكن الشخص الآخر لم يمنحه الفرصة لذلك ، إذ سدد إليه ركلة قوية في ساقه ، أجبرته على أن يجثو على إحدى ركبتيه ، وأكمل الرجل الضخم الجثة الإجهاز عليه ، بتشديد ضربة أخرى بآلته المعدنية إلى رأس (ممدوح) ، جعلته يفقد الوعي هذه المرة ، وهنا حمله الرجلان ليلقيا به من فوق الجسر ، إلى مياه البحيرة ، وراقبه ضخم الجثة ، وهو يغوص في الماء ، قائلًا بشماتة :

ـ وداعًا أيها المغامر الأحمق .

قال له الآخر ، الذي بدا كأنه قد تخلص من حمل ثقيل :

ـ هيا .. لنعود إلى (رومان) ونخبره أننا قد انتهينا منه ، فلدينا أعمال أكثر أهمية .

وانطلقت السيارة عائدة بالرجلين ، في اللحظة التي كان فيها (ممدوح) يسترد وعيه تدريجيًا ، بعد أن أنعشته مياه البحيرة الباردة ، وعلى الرغم من الآلام المبرحة ، التي كان يشعر بها في رأسه ، إلا أنه تغلب عليها ، واستغل مهارته في السباحة ليقترب من الجسر المعدني ، حيث تسلقه صاعدًا إلى أعلى ، وعلى مقربة من المكان ، كانت هناك سيارة زرقاء قادمة ، حيث توقف سائقها بالقرب من (ممدوح) ، قائلًا وهو ينظر إليه في دهشة :



وهنا حمله الرجلان ليلقيا به من فوق الجسر، إلى مياه البحيرة ..

ـ سيادة المقدِّم، ماذا حدث؟

أجابه (ممدوح)، قائلًا بلهجة ساخرة:

ـ لقد رأى (بدرو) وأعوانه أننى بحاجة إلى حمام منعش، فتعاونوا على إلقائى فى البحيرة، بعد أن أفقدانى الوعى.

قال زميله معتذرًا:

ـ أنا آسف .. كان لابد أن أكون قريبًا منك، ولكن أنت الذى أصررت على أن أحتفظ بمسافة بعيدة بين سيارتى وسيارتهم.

(ممدوح):

ـ لا تنس أننا نتعامل مع محترفين، وكان من الممكن أن ينتبهوا إلى سيارتك، لو تتبعتهم على مسافة قصيرة، وذلك كفيل بإفساد خطتنا .. ثم إن هذا أفضل .. إنهم يظنون الآن أنهم قد تخلّصوا منى، وهذا سيسهل لى فرصة ملاحقتهم، بوساطة جهاز اللاسلكى الذى دسسته فى سيارتهم.

وفتح باب السيارة، مستطردًا:

ـ هيا .. دعنا.. لا نضيع الوقت.

أسرع زميله بالجلوس أمام عجلة القيادة لينطلق، فى حين أدار هو جهاز استقبال لاسلكى فى تابلوه السيارة، معد

خصيصًا لاستقبال الإشارات اللاسلكية الصادرة من جهاز الإرسال، الذى دسّه فى مقعد السيارة، التى يستقلّها الأشقياء، وسأله وهو يتابع الإشارات اللاسلكية على الجهاز الموضوع أمامه :

- هل أحضرت معك باقى المعدات ؟

أجابه زميله :

- نعم .

(ممدوح) :

- حسن .. تتبع الإشارات اللاسلكية، وكن حريصًا على التوقف على مسافة مناسبة، بعيدًا عن موقعهم، حتى لا يلحظوننا، فأهم شىء فى خطتنا هو تحقيق عنصر المفاجأة .

وبعد نصف الساعة، نظر زميل (ممدوح) إلى جهاز الاستقبال، وهو يتتبع تغير الأزيز الصادر منه، قائلًا :

- أصبحنا على مسافة قريبة منهم .

(ممدوح) :

- حسن .. ابق أنت فى السيارة، واحتفظ بمحركها دائرا .. أريدك أن تكون جاهزًا لالتقاطى فى الوقت المناسب .

سأله زميله :

- ألا تحتاج لوجودى معك ؟

(ممدوح) :

- كلا .. إننى أحتاج لوجودك هنا .

ساعده زميله على إخراج حقيبة جلدية ثقيلة، حملها (ممدوح) وهو يقول :

- هيا .. عد للجلوس .. أمام عجلة القيادة .

ردّ عليه زميله، وهو يخرج مسدسه :

- وفّقك الله .. لو تأخّرت أكثر مما يجب، فسوف أضطر للتدخل، حتى لو كان ذلك مخالفًا للأوامر .

ربّت (ممدوح) على كتفه، قائلًا :

- لو ساعدنا الحظ، فلن تحتاج إلى ذلك .

سار (ممدوح) عدة أمتار على قدميه، مخترقًا منطقة دغلية كثيفة، حتى اقترب من معسكر محاط بالأسلاك الشائكة، يضم مجموعة من الأشخاص المسلحين، وقد ارتسمت على وجوههم ملامح القسوة والشراسة، وكان أغلبهم ملتفين حول شخص عريض المنكبين، له لحية كثيفة، ويضع سيجارًا كبيرًا فى فمه، وقد أخذ يتحدث إليهم فى لهجة القائد، وكان من الواضح أن هذا هو زعيمهم

(بدرو)، فظلّ (ممدوح) كامنًا فى مكانه، وهو يراقب ما يدور فى المعسكر والمنطقة المحيطة به بمنظاره المقرِّب، ثم ما لبث أن نهض من مكمنه، وفتح الحقيبة الجلدية، ليخرج منها عددًا من الأسلحة المزوَّدة بأجهزة إلكترونية، تعمل وفقًا لنظام خاص، وقام بتثبيت هذه الأسلحة فى عدة مواقع مختلفة، تطل على معسكر (بدرو) وأعوانه، فوضع بعضها بين أفرع الأشجار، والبعض الآخر بين الأعشاب المرتفعة فى مواجهة الجزء الأيسر من المعسكر، ودار حول المعسكر من الجهة الأخرى، زاحفًا بين الأعشاب حيث لمح أحد الحراس المسلحين، يسير بالقرب من الأسلاك حاملًا بندقيته، وانتظر حتى ابتعد الحارس قليلًا، وواصل زحفه حتى اقترب من السلك الشائك، ثم استلقى على ظهره، وبدأ يستخدم آلة حادة حملها معه، فى قطع الأسلاك، بعد أن اختبرها أوّلًا، وتأكدّ من أنها غير موصلة بأى تيار كهربائى، وتمكَّن من إحداث فجوة فى السلك الشائك، وعيناه تراقبان الحارس المسلّح، الذى استدار عائدًا، فى اللحظة التى نفذ فيها (ممدوح) إلى داخل المعسكر.. وظلّ (ممدوح) راقدًا على ظهره دون حراك، وقد حبس أنفاسه، وهو يأمل أن يخفيه الظلام

والأعشاب المرتفعة عن عينى الرجل، وعلى الرغم من برودة الجو، إلا أنه وجد نفسه يتصبَّب عرقًا، عندما أحس بقدمى الرجل إلى جوار كتفيه، وكان من المستحيل على الرجل ألا يراه، وحتى لو لم يتمكن من ذلك، فإنه كان لابد أن يشعر بوجوده، لأنه لو تقدم خطوتين أخريين لداس جسده بحذائه؛ لذا كان على (ممدوح) أن يتصرف سريعًا، وأن يستغل عامل المفاجأة فى التخلّص من ذلك الحارس، فانتظر حتى اقترب منه خطوة أخرى، ثم تدحرج على الأرض فى اتجاهه، وهو يلف ساعديه حول ساقى الرجل، ليجذبه إلى الأرض.

كان كل همه هو أن يمنع خصمه من أن يلمس زناد بندقيته؛ لذا فأوّل ما فعله هو أن وثب فوق ظهره، بعد طرحه أرضًا، ليطبق بقبضته على معصمه، ويحول بين أصابعه وبين الوصول إلى زناد بندقيته، وهم الرجل بإطلاق صرخة ينبه بها زملاءه، ولكن (ممدوح) التقط البندقية سريعًا، وهوى بمؤخرتها على رأسه من الخلف فأفقده الوعى..

ورقد (ممدوح) إلى جوار الرجل على الأرض، وهو يراقب حركة الرجال فى المعسكر، بعد أن انفض - فيما يبدو - اجتماعهم مع زعيمهم..

كانوا قد بدءوا يستعدون للانتشار فى أرجاء المعسكر ، وكانت هذه هى اللحظة التى يتعين فيها على (ممدوح) أن يستخدم أسلحته الإلكترونية ، فتناول جهازًا للتوجيه الإلكترونى من جيبه ، وأخذ يضغط أزراره ، وعلى الفور انطلقت الرصاصات من الأسلحة التى قام بدسها فى أماكن مختلفة ، من الجهة اليسرى المواجهة للمعسكر ، بحيث بدا الأمر كما لو أن فرقة كاملة تهاجم الموقع ، وأدَّى هذا الوابل من الطلقات ، التى انهمرت على المعسكر ، إلى إسراع مجموعة الرجال المسلحين إلى اتخاذ مواقعهم ، فى مواجهة الجهة التى تأتى منها هذه الطلقات المنهمرة ، وقد أخذ زعيمهم يصرخ فيهم لمجابهة الهجوم ، وهو يردِّد :

ـ استعدوا جميعًا لمواجهة الهجوم .. إنه يأتى من هذه الجهة .. لن نسمح لهم باقتحام المعسكر .

وأتاح هذا لـ (ممدوح) أن يندفع فى اتجاه أحد الأكواخ الخشبية ، معتمدًا على جذب انتباه المتمردين إلى الجهة المقابلة ، حيث وجد أحد الأشخاص يستعد لحشو سلاحه ليلحق بزملائه ، فاندفع نحوه من الخلف ، ليلصق فوهة مسدسه برأس الرجل ، قائلًا بلهجة آمرة :

ـ ألق سلاحك وإياك أن تحدث أية حركة تجذب انتباه الآخرين ، وإلا ألهبت رأسك بالرصاص .

أطاع الرجل ما أمره به (ممدوح) على الفور ، وقد ألجمته المفاجأة ، وعاد (ممدوح) ، يسأله قائلًا :

ـ أين يوجد صندوق الآثار المصرية الذى سرقتموه ؟

قال الرجل ، وهو يزدرد لعابه :

ـ لا أعرف .

قال (ممدوح) ، وهو يحرِّك إصبعه على الزناد :

ـ سأعد حتَى ثلاثة ، فإذا ظللت لا تعرف ، فسوف تكون هذه الإجابة هى سبب موتك .

تراجع الرجل قائلًا ، وهو يشير إلى أحد الأكواخ .

الصندوق فى هذا الكوخ .

قال (ممدوح) ، وهو يمسك ياقة سترته من الخلف ، ليدفعه أمامه :

ـ حسن .. دعنا نتأكد من صدق ما قلت .

اقتربا من الكوخ الذى حدَّده الرجل ، وكان هناك أحد الأشخاص قائمًا على حراسته ، وما إن لمحهما حتى أشهر سلاحه ، قائلًا :

ـ من القادم .

لكز (ممدوح) الرجل بفوهة مسدسه فى رأسه ، لكى لا يحاول أن ينبه زميله ، فقال بسرعة :

- إنه أنا (جارسيا) ..

خفض الرجل سلاحه ، بمجرَّد سماع الاسم ، قائلًا :

- لماذا لم تنضم إليهم فى الدفاع عن المعسكر ، ضد القوات الحكومية ؟

أجابه وهو يخطو فى اتجاهه :

- ولماذا لم تفعل أنت ذلك ؟

ردّ عليه ، قائلًا :

- أنت تعرف الأوامر التى أصدرها (بدرو) ، بألّا أتخلّى عن حراسة هذا الكوخ مهما حدث .. ولكن من معك ؟

عندئذ أعلن (ممدوح) عن وجوده ، قائلًا :

- شخص يريد منك أن تلقى سلاحك على الأرض فورًا ، وأن تضع يدك فوق رأسك .

تردَّد الرجل قليلًا ، وهو ينظر إلى (ممدوح) فى دهشة ، فاستطرد هذا الأخير ، قائلًا :

- إذا تردَّدت فى تنفيذ أوامرى .. فلن أتردَّد فى إطلاق الرصاص عليك ..

وجد الرجل نفسه فى مواجهة شخص صارم لا يعرف

الهزل ، فأطاع الأمر ، وألقى سلاحه على الأرض ، واضعًا يديه فوق رأسه ، واقتاد (ممدوح) الرجلين إلى داخل الكوخ ، حيث أرشدوه إلى مكان الصندوق الذى يحتوى على الآثار المصرية المسروقة ، ولمح (ممدوح) بالقرب من الجدار عربة معدنية صغيرة ذات عجلات ، من ذلك النوع الذى يتم دفعه باليد ، فطلب منهما وضع صندوق الآثار فوقها ، وما أن انتهيا من تنفيذ ما طلبه منهما ، حتى دفع بهما إلى إحدى الحجرات داخل الكوخ ، وأغلق بابها عليهما ، ثم اندفع بالعربة المعدنية إلى الخارج ، محاولًا الهروب من المعسكر ، قبل أن يكشف المتمردون اللعبة ، ويعرفون أنهم كانوا يقاتلون أعداء وهميين ، لا وجود لهم ، ولكن أحد الرجال لمحه فجأة ، فصاح به :

- قف مكانك .

حاول (ممدوح) أن يتجاهل الأمر الصادر إليه ، وأن يواصل اندفاعه بالعربة المعدنية ، ولكن الرجل أطلق فى اتجاهه عدة رصاصات ، أصابت إحدى شظاياها يد (ممدوح) ، فأطاحت بمسدسه ، الذى حاول أن يستخدمه ، فلم يجد بدًا والأمر هكذا ، من السقوط على الأرض ، والتظاهر بالموت ، وإلا جاءت الرصاصات التالية لتمزق جسده ..

وبالفعل ، تظاهر (ممدوح) بأن إحدى الطلقات أصابته فى مقتل ، فهوى على الأرض فوق الأعشاب ، راقدًا على أحد جانبيه ، وقد أولى ظهره لغريمه ، وفى اللحظة التى اقترب فيها خصمه ، ليتأكد من موته ، ويتحقَّق من شخصيته ، كان (ممدوح) قد حرك أصابع يده اليسرى ، لتلتقط خنجرًا حادًا ، كان يخفيه برباط فوق ساعده الأيمن أسفل كم سترته ، وكانت حركة (ممدوح) بطيئة وحذرة ، حيث ظلت أصابعه هى الجزء الوحيد فى جسده الذى يتحرك ، ليعمل على اجتذاب السكين ، دون بقية أجزاء جسده ، الذى نجح فى السيطرة عليه ، ليجعله يبدو دون حراك ، وما إن نجحت يده اليسرى فى التقاط الخنجر ، حتى سلمه إلى يده اليمنى ، ثم انقلب على جانبه الأيمن فى حركة سريعة ومباغتة ، وهو يصوِّب خنجره فى اتجاه غريمه ، معتمدًا على حاسة سمعه القوية فقط ، لتحديد موقعه ، والمسافة التى تفصل بينه وبين ذلك الغريم ..

وبالفعل جاء استخدام (ممدوح) للخنجر حاسمًا وموفقًا للغاية ، فقد استقر نصل الخنجر فى أمعاء الرجل ، فجثا على ركبتيه ، ثم سقط على وجهه صريعًا فى الحال ، وقد سبقه سلاحه إلى الأرض ..



وبالفعل جاء استخدام (ممدوح) للخنجر حاسمًا وموفقًا للغاية ، فقد استقر نصل الخنجر فى أمعاء الرجل ..

وانتظر (ممدوح) برهة من الوقت ، ثم نهض من فوق العشب ، وأسرع يواصل طريقه ، نحو الفجوة التى أحدثها فى الأسلاك ، وهو يدفع العربة المعدنية أمامه ، وما لبث أن اخترق المنطقة الدغلية ، حتى وصل إلى السيارة التى كانت تنتظره ، حيث وجد زميله جالسًا أمام عجلة القيادة فى انتظاره ، وقال له (ممدوح) ، وهو يفتح حقيبة السيارة الخلفية ليضع الصندوق داخلها :

ـ لقد نجحت فى استرداد الآثار المسروقة .

ولكنه وجد زميله صامتًا لايتحدث ، فأغلق حقيبة السيارة ، واقترب منه قائلًا :

ـ ما بالك .. لماذا أنت صامت هكذا ؟

ولكن الإجابة جاءته سريعًا ، إذ وجد شخصًا جالسًا فى المقعد الخلفى ، يصوِّب مسدسه إلى رأس صديقه من الخلف ، وعلى وجهه ابتسامة عريضة ، قائلًا :

ـ شكرًا على هديتك أيها المغامر المصرى .

هتف (ممدوح) :

ـ (بدرو) ؟!

وكانت مفاجأة ..

★ ★ ★

٣ ـ عملية ناجحة ..

على الرغم من المفاجأة ، كان (ممدوح) مدرَّبًا على التعامل مع مثل هذا النوع من المفاجآت ؛ لذا فقد بقى محتفظًا بالدهشة المرتسمة على ملامحه ، وهو يقترب بوجهه من نافذة السيارة الخلفية ، حتى يجعل تركيز (بدرو) منصبًا على وجهه ، دون أن ينتبه إلى حركة يده اليسرى ، التى جعلها مدلاة إلى جانبه ، فى حين أمسكت أصابع يده اليمنى حافة الباب ، وحاول أن يستحوذ على اهتمام (بدرو) وعلى المزيد من تركيزه ، حتى يتمكَّن من تحريك أصابع يده اليسرى ، نحو جيب سترته السرى ، فسأله قائلًا :

ـ كيف تمكَّنت من المجيء إلى هنا ؟

ضحك (بدرو) قائلًا :

ـ كان أمرًا سهلًا ، فقد اتبعت طريقًا مختصرًا للهرب ، وكنت قد تصوَّرت فى البداية أن المعسكر قد تعرض لهجوم من جانب القوات الحكومية ، بعد وابل الطلقات الذى أخذ ينصب علينا من كل اتجاه ؛ لذا فقد تركت رجالى يتصدَّون لهذا الهجوم ، وسلكت أنا طريقًا مخصَّصًا للهرب ، ولكننى رأيتك قادمًا ، وبين يديك صندوق الآثار ، وعرفت أنك قد

أسديت لى خدمة جليلة بعملك هذا ، فالآن يمكننى أن أحصل على ثمن هذه الآثار الذهبية بمفردى ، دون أن أضطر إلى مشاركة ثلاثين وغدًا من أعوانى ، فأنا أعتقد أنه قد آن الأوان لكى أعيش عيشة الأثرياء والمترفين ، بعد أن مللت دور الثائر المتمرد .

قال (ممدوح) ، وفى عينيه نظرة استخفاف :

- كنت أعلم دائمًا أنك لست سوى لص حقير ، ولا تنتمى إلى الثوار فى شىء كما تدَّعِى .

وفى أثناء ذلك ، كان قد تمكن من أن يضع أصابعه فى جيب سترته السرى ، حيث تناول جهازًا إلكترونيًا صغيرًا ، يشبه القلم الجاف ، وثبَّته فى الجزء الفاصل بين باب السيارة الأمامى والباب الخلفى ، حيث التصق به مغناطيسيًا ، فى حين قال له (بدرو) بخشونة ، وهو يدير فوهة المسدس نحو وجهه :

- الآن سترى ماذا سيفعل بك ذلك اللص الحقير أيها المغرور ؟

وبأسرع من لمح البصر ، كان (ممدوح) قد انتزع غطاء الجهاز الإلكترونى ، وهو يثب على الأرض ، ليزحف كالثعبان فوق الحشائش ، مبتعدًا عن السيارة ، فأطلق (بدرو) ضحكة مجلجلة ، وهو مستمر فى تصويب مسدسه نحوه فى أثناء زحفه ، قائلًا :

- سوف تموت كحشرة فى هذه الأدغال .

أدرك (ممدوح) أنه لا محالة من هلاكه ، لو لم يعمل جهاز التفجير الإلكترونى بأسرع ما يمكن ، بعد أن انتزع منه صمام الأمان .

هم زميل (ممدوح) الجالس فى السيارة بمهاجمة (بدرو) ، قبل أن يطلق رصاص مسدسه ؛ ولكن (ممدوح) صرخ فيه ، قائلًا :

- لا يا (صلاح) .. ابتعد عنه .

أدار (بدرو) فوهة مسدسه فى اتجاه (صلاح) هاتفًا فى شراسة :

- لا بأس .. ستكون أسبق من زميلك إلى الموت .

وفى هذه اللحظة ، انفجر جهاز التفجير الإلكترونى ، ليفصل النصف الخلفى من السيارة عن نصفها الأمامى ، مطيحًا به ثلاثة أمتار إلى الخلف ، وعلى الفور نهض (ممدوح) ، وأسرع يندفع نحو الجزء الخلفى من السيارة ، حيث بادر بالتقاط المسدس الذى سقط من (بدرو) ، بعد أن سقط مغشيًا عليه ، وقد أصيب بعدة جروح فى وجهه وذراعه ، وابتسم (صلاح) ، وهو يقترب من (ممدوح) ، قائلًا :

- الآن فهمت لماذا حذرتنى من الاقتراب .. لقد

استخدمت جهاز التفجير الإلكترونى (القاهرة ـ ١٦) .. أليس كذلك ؟

أجابه (ممدوح) :

ـ كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة ، لكى أنقذك وأنقذ نفسى من مسدس (بدرو) ، دون خسائر جسيمة ، فهذا الجهاز متقن الصنع ، بحيث لا تمتد آثاره التفجيرية إلا إلى الجزء الذى يتم تثبيته فيه ، وبهذا أمكننى شطر السيارة إلى جزءين .

(صلاح) :

ـ من حسن الحظ ، أنك كنت تحتفظ معك بإحدى هذه الأجهزة .

(ممدوح) :

ـ والآن أحضر صندوق الآثار من حقيبة السيارة .

(صلاح) :

ـ نعم .. ولكن الآن ستواجهنا مشكلة حقيقية ، فلم يعد لدينا سيارة ، وسيكون أمرًا شاقًا للغاية أن نقطع هذه المسافة الطويلة ، ونحن نحمل معنا هذا الصندوق الثقيل ، فى تلك المنطقة الخطرة ، خاصة وأن رجال (بدرو) لابد أنهم سينطلقون فى أثرنا بعد قليل .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يرهف السمع ، قائلًا :

ـ أعتقد أنهم قد بدءوا مطاردتنا بالفعل ، فإننى أسمع هدير سيارتهم .

(صلاح) :

ـ يتعين علينا إذن أن نبحث عن مكان ، نختفى فيه عن أنظارهم .

(ممدوح) :

ـ على العكس .. إننا سنكون فى استقبالهم ؛ فهم الذين سيحلون لنا مشكلة العثور على سيارة ، تنقلنا بعيدًا عن هذا المكان .

قال (صلاح) معارضًا :

ـ ولكن ...

قاطعه (ممدوح) بثقة :

ـ استعد أنت فقط لإحضار صندوق الآثار .

وجذب (ممدوح) (بدرو) من ياقة سترته ، ليساعده على النهوض ، وكان قد بدأ يسترد وعيه ، وفى اللحظة التى وصلت فيها سيارة الجيب ، محمَّلة بأعوان (بدرو) من المتمردين ، كان (ممدوح) قد جذب (بدرو) إليه ، وقد ألصق فوهة مسدسه برأس الأخير ، وصوب رجال (بدرو) أسلحتهم فى وجه (ممدوح) وصديقه ، ولكن (ممدوح) واجه أسلحتهم بهدوء ، قائلًا :

ـ ألقوا أسلحتكم وغادروا السيارة ، وإلا أطحت برأس زعيمكم .

تردَّد رجال (بدرو) وظلوا محتفظين بأسلحتهم ، وهم ينظرون إلى (ممدوح) فى توتر ، فقال هذا الأخير لزعيمهم :

ـ يبدو أن رجالك لا يعنون بحياتك كثيرًا .

صرخ (بدرو) فى وجوههم ، قائلًا :

ـ ماذا تنتظرون أيها الحمقى ؟.. ألم تسمعوا ما قاله لكم ؟.. نفذوا ما أمركم به .

وبعد لحظة أخرى من التردد ، بدأ الرجال فى إلقاء أسلحتهم أرضًا ، وهم يغادرون السيارة ، وقال (ممدوح) لـ (صلاح) ، وهو مايزال محتفظًا بفوهة المسدس ملتصقة برأس (بدرو) ، وعيناه ثابتة على أعوانه :

ـ ضع الأسلحة والصندوق فى السيارة .

أسرع (صلاح) بتنفيذ ما طلبه (ممدوح) ثم استقر أمام عجلة القيادة ، وبدأ فى إدارة محركها ، وفى هذه اللحظة تحرَّك (ممدوح) فى اتجاه السيارة ، وهو يجذب معه (بدرو) ، قائلًا لأعوانه :

ـ ابتعدوا عن الطريق .

نفذ المتمردون ما أمرهم به (ممدوح) ، وهم يتميزون غيظًا وحنقًا ، وما أن اقترب (ممدوح) من السيارة ، حتى دفع (بدرو) إلى داخلها ، ثم ركب إلى جواره ، فى حين انطلق (صلاح) بالسيارة .

وكانت هناك سيارتان أخريان للمتمردين ، قادمتين فى الطريق ، ولكن المسافة بينهما وبين السيارة التى استقلها (ممدوح) كانت كافية ، لكى يبتعد بها عن أنظارهم ، مع صيده الثمين .. صندوق الآثار الذهبية الذى جاء يبحث عنه ، وقاطع الطريق (بدرو) ، الذى كان يدعى لنفسه دور المتمرِّد الثائر .

وبعد عدة ساعات ، كان يقوم بتسليم (بدرو) إلى السلطات المختصة ، ثم توجَّه إلى المطار ، وبصحبته مجموعة الأفراد التى تولت تنفيذ المهمة ، وعلى رأسها الرائد (صلاح) ، عائدًا إلى (القاهرة) ، ومعه الآثار المصرية ، التى سرقها (بدرو) وأعوانه ، من متحف المدينة فى أثناء عرضها ..

كانت مهمة ناجحة أخرى من المهام التى تولاها (ممدوح عبدالوهاب) ..

أشهر رجال المكتب رقم (١٩) ..

★ ★ ★

٤ ـ البحث عن الشبح ..

غادر (ممدوح) سيارته ، أمام مبنى إدارة العمليات الخاصة ، حيث دلف من الباب الرئيسى للمبنى ، وهو يحيى زملاءه وأصدقاءه فى الإدارة ، مصافحًا وملوّحًا ، ثم اتجه مباشرة إلى المصعد ، وهو يشعر بقدر كبير من الحيوية والبهجة ، التى تعقب نجاحه فى إحدى العمليات المكلف إياها ، ووجد داخل المصعد الرائد (رفعت) ، صديقه الحميم ، وتهلّل (رفعت) لرؤيته ، واستقبله مرحبًا ، وهو يصافحه قائلًا :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا سيادة المقدم .. لقد افتقدناك كثيرًا .

شدّ (ممدوح) على يده مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ ثلاثة أسابيع ليست بالفترة الطويلة يا سيادة الرائد .

(رفعت) :

ـ أهنئك على نجاحك فى استعادة الآثار المفقودة .

(ممدوح) :

ـ كان للمجموعة التى عاونتنى فضل كبير فى نجاح هذه المهمة ، فكل منهم أدى دوره على أكمل وجه .

(رفعت) :

ـ لابد أنك ستذهب مباشرة ، لمقابلة اللواء (مراد) .

(ممدوح) :

ـ نعم ؛ فلابد أن أقدم تقريرى عن هذه العملية إليه بنفسى .

(رفعت) :

ـ أهنئك مقدمًا على الإجازة ، التى سيمنحها لك .

قال (ممدوح) مازحًا :

ـ أتعشم أن أنالها هذه المرة .

(رفعت) :

ـ سوف نلتقى فى مكتبى ، بعد أن تنتهى من مقابلة اللواء (مراد) ، وقبل قيامك بالإجازة .. أليس كذلك ؟

(ممدوح) :

بالطبع ؛ فقد أحضرت لك معى هدية من (جواتيمالا)(*) .

واستقل (ممدوح) المصعد ، ليرتقى به إلى الدور الرابع ، من مبنى إدارة العمليات الخاصة ، وبعد قليل

(*) ملحوظة : جواتيمالا إحدى دول أمريكا الوسطى ، حيث كان (ممدوح) يؤدى مهمته .

غادره إلى ممر طويل، حيث وصل إلى باب فى نهايته، طرق عليه طرقًا خفيفًا، ثم دلف إلى الداخل، واستقبله سكرتير اللواء (مراد) مدير الإدارة، قائلًا :

- أهلًا يا سيادة المقدم.. سيادة اللواء فى انتظارك.

ثم نهض من أمام مكتبه، قائلًا :

- سأخبره بحضورك.

ولكن قبل أن يتحرك من أمام المكتب، جاءه صوت اللواء (مراد) من الحجرة الداخلية، عبر جهاز (الديكتافون)، وهو يقول :

- ادخل يا (ممدوح).

هزّ السكرتير كتفيه مبتسمًا، وهو يشير إليه بالدخول، ودخل (ممدوح) إلى غرفة اللواء (مراد) الفسيحة، ووجد الهدوء يخيم على المكان، وقد جلس اللواء (مراد) إلى مكتبه، وكان - فيما يبدو - يتابع شيئًا ما على شاشة جهاز تليفزيون صغير، موضوع فوق المكتب، وما أن رآه حتى أوقف الجهاز، ونهض يصافحه، وعلى وجهه ابتسامة عريضة، قائلًا :

- تهنئاتى الحارة، على نجاحك فى مهمتك يا (ممدوح).

(ممدوح) :

- أشكرك يا فندم.

أشار له اللواء (مراد) بالجلوس على المقعد المواجه لمكتبه قائلًا :

- أعرف أنك قد واجهت صعوبات بالغة مع (بدرو) وعصابته.

أطرق (ممدوح) فى استحياء، قائلًا وهو يقدم إليه تقريره :

- النجاح فى أداء الواجب يهوّن من أية صعوبات.

وضع اللواء (مراد) التقرير جانبًا، وهو يقول :

- سوف أقرؤه فيما بعد.

ثم صمت برهة، قبل أن يقول :

- لابد أنك ترغب الآن فى الحصول على إجازة.

(ممدوح) :

- ما لم تكن هناك مهمة جديدة، ترغب سيادتك فى تكليفى إياها.

نظر اللواء (مراد) إلى الأوراق الموضوعة أمامه، قائلًا :

- فى الحقيقة، لدى عملية هامة بالفعل، تحتاج لشخص مثلك.

قال (ممدوح) سريعًا :

ـ إذن .. فلتنتظر الإجازة لما بعد .

ابتسم اللواء (مراد) ، وهو ينظر إليه بإعجاب ، قائلًا :

ـ هذا ما عهدته فيك دائمًا يا (ممدوح) .. الواجب دائمًا قبل أى شىء .

وأدار جهاز التليفزيون الصغير ، الموضوع فوق مكتبه ، جاعلًا شاشته فى مواجهة (ممدوح) ، ثم ضغط زر التشغيل ، ورأى (ممدوح) أمامه عدة صور ثابتة لشخص واحد ، فى عدة أماكن متعدِّدة ، وقد اتخذ مظاهر مختلفة ، وتحدث اللواء (مراد) ، قائلًا :

ـ هذا الشخص يدعى (توماس مالون) ، ويعرف أيضًا باسم (الشبح) ؛ لقدرته العجيبة على الاختفاء لفترات طويلة بعيدًا عن الأنظار ، ثم الظهور فجأة دون مقدمات .. ويحمل ظهوره غالبًا متاعب لا حصر لها بالنسبة لنا .

لا أحد يعرف حقيقة أصله ولا منشأه ، ولكن ما لدينا عنه فى جهاز المخابرات المصرية يفيد بأنه هاجر من المجر ، منذ سنوات بعيدة إلى (أسترتان) ، حيث استقر هناك ، وحصل على الجنسية الأسترتانية ، بعد أن التحق بجهاز المخابرات الأسترتانى ، وسرعان ما برزت مواهبه ، وتقلَّد



ورأى (ممدوح) أمامه عدة صور ثابتة لشخص واحد ، فى عدة أماكن متعدِّدة ، وقد اتخذ مظاهر مختلفة ..

عدة مناصب فى المخابرات الأسترتانية ، كما قام بتنفيذ عدد من العمليات الكبرى ، التى تحقق لها النجاح ، ومن بينها عمليات مثلت ضررًا كبيرًا لأمننا القومى ، وكانت قد وصلت معلومات إلى المخابرات المصرية ، عن تكليفه بعملية من ذلك النوع منذ فترة ، ولكن لم نعرف نوعها بالضبط ، أو متى يتم تنفيذها ؛ لذا حاولت المخابرات المصرية تجنيد عملائها ، لمعرفة أى خطر يدبره لنا ذلك (الشبح) ، ولكن مع الأسف باءت كل المحاولات بالفشل ، وفجأة جاءت معلومات ، يُعتقد أنه تم تسريبها إلى المخابرات المصرية بطريقة متعمدة ، تفيد بأن (توماس مالون) استقال من المخابرات الأسترتانية ، وقرر أن يسلك سبيل رجال الأعمال ، وفجأة أيضًا وصلت معلومات جديدة ، تفيد بأن الرجل قرر أن يهاجر من (أسترتان) مرة أخرى ، ليبدأ حياته الجديدة فى الخارج ، وبالتحديد فى (فرنسا) ، ورصدته أجهزة المخابرات بالفعل ، وهو يغادر (أسترتان) منذ ثلاثة عشر شهرًا ، فى طريقه إلى (باريس) ، ولكن المخابرات المصرية لم تطمئن لذلك ، نظرًا لما هو معروف عن خطورة ذلك الرجل ، ولم يتقبَّل المسئولون هنا فكرة استقالته ، وهجرته خارج (أسترتان) بسهولة ، فتقرَّر

مراقبته ، ومتابعة خطواته فى (باريس) ، ورصد مقابلاته ؛ لتحديد ما إذا كانت هناك لقاءات بينه وبين عملاء المخابرات الأسترتانية فى (باريس) أم لا ، وما إذا كانت هذه الاستقالة ، وتفرغه للعمل التجارى حقيقة أم خدعة مدبَّرة ، تخفى هدفًا ما .. وبالفعل وضع (توماس) تحت رقابة دقيقة ومشدَّدة ، من رجال المخابرات المصرية ، ولكن من الغريب أنه ، وعلى الرغم من هذه الرقابة المشدَّدة ، فإن (توماس) اختفى فجأة وبدون مقدمات ، بعد شهر واحد من استقراره فى (باريس) ، ولم يعثر له على أثر ، لم يعد له وجود ، لا فى (أسترتان) ولا فى (فرنسا) ، ولم تستطع كل أجهزة الأمن القومى المصرية ، ومن بينها إدارتنا ، تحديد مكانه فى أى جزء من العالم ، وكأن الرجل قد تبخَّر تمامًا .

قال (ممدوح) :

- وهكذا عاد (الشبح) ليمارس لعبته ، فيختفى فجأة ، كما يظهر فجأة .

اللواء (مراد) :

- تمامًا .. وهذا ما يحيرنا ويقلقنا ؛ فاختفاء هذا الشخص قد يحمل فى طياته نذير خطر بالنسبة لنا .

(ممدوح) :

- أليس من المحتمل أن يكون قد اغتيل ؟.. فشخص مثله لابد أن له العديد من الأعداء ، وليس من الضرورى أن يكونوا من جانبنا . بل إنه من الجائز أن تكون المخابرات الأسترتانية نفسها قد دبرت للتخلص منه ، خاصة أنه يعلم الكثير من الأسرار والخفايا ، من خلال عمله فى هذا الجهاز ، وذلك قد يسبب لهم ضررًا بالغًا ، إذا ما قرَّر إفشاء بعض هذه الأسرار ، أو اضطرته الظروف للكشف عنها .

اللواء (مراد) :

- إنه احتمال قائم ، ولكن أنت تعرف أنه فى عملنا لانترك الأمر للاحتمالات ، وإذا كان قد اغتيل كما تقول ، فأين ذهبت جثته ، ثم إن تاريخ الرجل يفصح عن تكرار اختفائه وظهوره فى ظروف غامضة ومريبة ، وهذا ما جعلهم يطلقون عليه اسم (الشبح) ، وإن جاء الاختفاء هذه المرة مثيرًا للدهشة .

(ممدوح) :

- إننا إذن بحاجة لمعرفة أين ذهب هذا الشبح ، وما الذى يكمن وراء اختفائه ، بافتراض أنه ما يزال حيًا ؟

اللواء (مراد) :

- لقد وضعت المخابرات المصرية أيديها ، منذ ثلاثة أسابيع ، على أحد عملاء المخابرات الأسترتانية ، واستطاعت أن تعرف منه معلومات عن هذا الشخص ، ولكنها لم تكن كافية للاهتداء إليه ؛ فقد صرح بأن التقارير السرية الرسمية ، لدى المخابرات الأسترتانية ، تؤكد أن (توماس مالون) قد توفى إثر إصابته بأزمة قلبية ، وأن جثمانه قد نقل إلى (أسترتان) بطريقة ما ، حيث دُفِنَ هناك ، ولكن هناك أيضًا معلومات غير رسمية ، تفيد بأن (توماس) قد استقر فى إحدى الجزر الأسبانية ، بعد أن انتحل لنفسه شخصية جديدة ، وقام بإجراء عملية تجميل فى وجهه ، وأنه يدير أحد المشروعات الصناعية ، المتعلقة بمستحضرات التجميل ، فى هذه الجزيرة ، وينوى أن يدخل المنافسة العالمية فى هذا المجال ، وعلى الرغم من عدم دقة هذه المعنومات ، إلا أننا لانستبعدها ، بقدر مانستبعد مسألة وفاة (توماس) بأزمة قلبية ، حسب التقارير الرسمية للمخابرات الأسترتانية ، فكما هو معروف لدينا ، كان يمتلك قلبًا من حديد ، وسجله المرضى لايشير لأية متاعب فى القلب .

(ممدوح) :

- ربما أرادت المخابرات الأسترتانية مساعدته ، على بدء حياة جديدة دون مخاطر ، بعد الاستغناء عن خدماته ، فكافأته بشراء هذه الأرض فى الجزيرة ، ليقيم مشروعه الصناعى عليها ، بعد أن قدّمت له الاسم الجديد والوجه الجديد .

قال اللواء (مراد) ساهمًا ، وكأنه يفكر :

- لا أظن .. لو كان (توماس مالون) حيًا بالفعل ، فشخص مثله لا يمكن للمخابرات الأسترتانية أن تستغنى عن خدماته ، ولو كانت هذه المعلومات صحيحة ، فلابد أن وراء التدابير التى اتخذها (توماس) أمر خطير .

ونظر إلى (ممدوح) ، مستطردًا :

- ولا تنس أن الشك قاعدة فى عملنا ، وعلينا ألا نكون مطمئنين دائمًا إلى أى عدو يُخشى خطره ..

لقد عُقِدَ اجتماع لهيئة الأمن القومى ، ضم إدارة العمليات الخاصة ، وفى نهاية الاجتماع تقرر إسناد هذه العملية إلينا ، بالتعاون مع المخابرات المصرية ، فيما يتعلق بالمعلومات المطلوبة ، والتى نحتاجها ، وهذه العملية لها هدف محدود ، وهو معرفة ما إذا كان

(توماس مالون) ما يزال على قيد الحياة أم لا ، وإذا كان ما يزال حيًا ، فأين يوجد ؟ وما هو العمل الذى يعد له الآن ؟..

وهذا يعنى أنك ستسافر إلى هذه الجزيرة الأسبانية ، وتحاول تحرّى حقيقة هذه المعلومات ، التى تشير إلى أن ذلك المليونير الفرنسى ، الذى يمتلك ثلاثمائة فدان هناك ، وثلاثة مصانع لمستحضرات التجميل ، هو نفسه (توماس) أم لا ، وما هى أهدافه الحقيقيّة ، لو كان هو ذات الشخص ؟.. هل قرر اعتزال العمل فى المخابرات بالفعل ، وتحوّل إلى رجل أعمال ، أم أنه ما يزال يمارس دوره ، من خلال شخصيته الجديدة .

(ممدوح) :

- وإذا ما تبين لى أنه هو ذات الشخص ، وأنه يمثل خطورة حقيقية واضطرتنى الظروف إلى مواجهته ؟

اللواء (مراد) :

- اقض عليه لو اقتضى الأمر .

نهض (ممدوح) ، قائلًا :

- حسن .. أنا مستعد لأداء المهمّة .. متى نبدأ فى دراستها والإعداد لها ؟

اللواء (مراد) :
ـ هذه الليلة ..
قالها ثم أضاف فى حزم :
ـ وسنطلق على هذه العملية اسمًا كوديًا .. اسم (البحث عن الشبح) .





٥ ـ المندوب السرى ..

توقفت السيارة الفارهة أمام مدخل الفيلا الأنيقة المحاطة بالأشجار ، حيث غادرها شخص فى الخمسينات من العمر ، متجهًا نحو الفيلا ، فى حين غادر شخصان آخران ، كانا يستقلان سيارة صغيرة تتبع سيارته ، ووقفا على مسافة غير بعيدة منه ، وهما يتتبعان خطواته ، وفجأة برز شخص آخر من وراء الأشجار ، ليثب فوق الرجل ، مطيحًا به على الأرض ، فى اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة مدوية ، كادت تستقر فى رأسه ، وانتفض الشخصان اللذان كانا يتبعان ذلك الرجل ، وقد استل كل منهما سلاحه ، وهما فى حالة عصبية من أثر المفاجأة ، وانطلقت رصاصات أحدهما فى الاتجاه الذى انطلقت منه الرصاصة ، فى حين عمد الآخر إلى تغطيته ، وبقى ذلك الشخص ، الذى وثب فوق الرجل لإنقاذه ، وقد دفع رأسه إلى الأرض ، ليحول بينه وبين أن يتحول إلى هدف لأية طلقات أخرى ، حتى ندت صرخة عالية من بين الأشجار ، خرّ على إثرها شخص ما صريعًا على الأرض ، بعد أن أصابته رصاصات أحد الحارسين ، اللذين كانا يتوليان حماية الرجل العجوز ، أما

الرجل الذى عمل على إنقاذه ، فقد انقلب سريعًا على ظهره ، وهو يضم فخذيه إلى صدره ، رافعًا ساقيه إلى أعلى ، ليستقبل على قدميه ذلك الشخص ، الذى وثب من فوق إحدى الأشجار ، حاملًا فى يده سكينًا طويلًا ، له نصل حاد ، وهو يهم بطعن العجوز .

وكان التوقيت الذى استخدمه الرجل رائعًا ، إذ سرعان ما استقبل ذلك المعتدى على قدميه ، ليطيح به وراء ظهره ، ملقيًا به على الأرض ، وقبل أن ينهض كان قد سبقه فى النهوض ، ليصوب إليه لكمة قوية ، أعادته إلى الأرض مرة أخرى ..

وحاول المعتدى أن يساعد نفسه على النهوض من جديد ، بعد أن تمكّن من إحكام قبضته على سكينه ، ولكن المسدس الذى صوبه إلى رأسه أحد الحارسين ، جعله يحجم عن استخدام السكين ، وما لبث أن نهض معلنًا استسلامه ..

فى تلك اللحظة ، اقترب الحارس الآخر ليساعد الرجل العجوز على النهوض، وقد بدا فى حالة شديدة الاضطراب، وقال الرجل وهو فى حالة من الدهشة :

ـ ماذا حدث ؟

أجابه الحارس :

ـ محاولة جديدة للاعتداء على حياتك يا مسيو (رينيه) .

أخذ الرجل يزيح بعض الأوحال ، التى تعلّقت بحلته ، وقد تبدل اضطرابه إلى غضب ، قائلًا بحدة :

ـ وماذا كنتما تفعلان ، عندما تربص بى ذلك الوغد ، الذى أطلق رصاصته ؟.. كيف أطلق الرصاص دون أن تلحظاه ؟ بل كيف تمكّن من التسلل إلى الفيلا أصلًا ؟

أجابه الحارس :

ـ إنهما شخصان ، وقد قتلنا أحدهما ، وقبضنا على الآخر .

ازدادت حدة الرجل ، وهو يقول مشيرًا إلى الشخص الذى أنقذه ، وقد انشغل هو الآخر بإزالة الأوحال ، التى علقت بسترته :

ـ الفضل الأول يرجع إلى هذا الرجل ، فلولاه لكنت فى عداد الأموات الآن .. لقد أنقذنى من الرصاصه التى صوبت إلىّ ، ومن السكين الذى كاد يستقر فى عنقى ، ولولاه لما تمكنتما من فعل شىء .

ونظر إلى منقذه ، قائلًا :

- بالمناسبة .. من أنت ؟ وما الذى دفعك إلى التدخل لإنقاذى ؟

ابتسم له ذلك الشخص ، قائلًا :

- اسمى (ممدوح عبد الوهاب) .. أما عن دافعى لإنقاذك ، فهذا شىء يمكن أن نتحدث فيه فيما بعد ، لو سمحت لى بدخول الفيلا والتحدث إليك .

حملت نظرات الرجل شيئًا من الريبة ، وهو يقول :

- كيف تمكنت من الدخول إلى الفيلا على الرغم من الحراسة المشدَّدة حولها ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

- فى الحقيقة ، لقد استقبلت بترحيب بالغ ، لدى حضورى إلى هنا .

همس أحد الحارسين :

- إننى غير مطمئن لهذا الرجل .. ربما كان شريكًا للآخرين ، ولجأ معهما إلى هذه الحيلة ، فيتولى بعضهم مهاجمتك ، ويتولى هو إنقاذك ، لكى يكسب ثقتك .

صاح فيه (رينيه) متبرِّمًا :

- يا لك من غبى !.. هل يشترك ثلاثة أشخاص فى

حيلة ، تنتهى بمقتل أحدهما وإلقاء القبض على الآخر ، لكى يكسب الثالث ثقتى ؟

قال (ممدوح) ، وهو ما يزال محتفظًا بابتسامته :

- هذا هو أساس المشكلة يا مسيو (رينيه) .. إنك تحتفظ ببعض الحراس الأغبياء حولك ، مما يسهِّل مهمة أعدائك .

نظر إليه الحارسان بحنق ، فى حين دعاه (رينيه) إلى مصاحبته داخل الفيلا ، بعد أن طلب من أحدهما الاحتفاظ بالشخص المقبوض عليه ، حتى يتم تسليمه إلى الشرطة ، وفى الداخل قدَّم بعض الشراب إلى (ممدوح) ، قائلًا :

- والآن .. إذا تجاوزنا عن مسألة تسلُّلك إلى منزلى ، على هذا النحو الغريب الغامض ، فأعتقد أنه من حقى أن أعرف من أنت ؟ ولماذا تدخلت لإنقاذى ؟.. على الأقل لكى أقدِّم لك شكرى .

(ممدوح) :

- أعتقد أنه لن يهمك فى شىء أن تعرف عنى أكثر من اسمى وجنسيتى ، فاسمى كما قلت لك (ممدوح) ، وجنسيتى مصرية ، كما أننى لم أتدخل لإنقاذك ، لكى أنال شكرك ، بل إننى بحاجة بالفعل لكى أنال ثقتك ، وإن كان

هذا لا يعنى وجود أية علاقة ، بينى وبين أولئك الأوغاد ، الذين حاولوا أن ينالوا منك ، كما حاول أن يعلّل حارسك الغبى ، وإذا أردت أن تشكرنى حقًا ، فيمكنك أن تفعل ذلك بتقديم تلك الخدمة ، التى سبق أن طلبناها منك .

نظر إليه (رينيه) بدهشة ، قائلًا :

ـ أية خدمة تلك التى سبق أن طُلِبت منى ؟.. ومن الذى طلبها ؟

(ممدوح) :

ـ مندوب شركة الفراعنة .

قال (رينيه) ، وقد بدأ يعى ما يرمى إليه (ممدوح) :

ـ آه .. تقصد بشأن منحكم سلطة الإشراف ، على بعض توكيلات مؤسستى .. أنت تعلم أن هذا الطلب سبق أن رفضته من قبل ، عندما تقدم لى به مندوب شركتكم الوهمية ، فالطريقة المريبة التى تريدون بها الحصول على هذا التوكيل ، بالإضافة إلى المعلومات التى جمعتها ، والتى أكدت أنه لا وجود لمثل هذه الشركة التى تدعونها ، تجعلنى أجزم بأنكم مجموعة من النصابين ، ومن المستحيل أن أخاطر بالتعامل باسمى معكم .

(ممدوح) :

ـ فى الواقع أننا لسنا بهذه الصورة السيئة التى تتصورها يا مسيو (رينيه) ، وعلى أية حال ، فكل ما أطلبه الآنَ هو أن تجعلنى مندوبًا لك ، للإشراف على بعض المنتجات ، التى حصلت على توكيل من مؤسستك ، وبالتحديد تلك التى يتم إنتاجها فى مصانع مسيو (ديلون) ، فى جزيرة (منوركا) الأسبانية .

(رينيه) :

ـ ولماذا هذه الجزيرة ، وذلك الشخص بالذات ؟

(ممدوح) :

ـ أفضل أن أحتفظ بالأسباب لنفسى ، ولكننى أضمن لك ألا أفعل أى شىء ، يمكن أن يترتب عليه ضرر أو إساءة ، إلى اسمك أو اسم مؤسستك .

قال (رينيه) فى إصرار :

ـ آسف .. حتى هذا الطلب لا أستطيع أن أجيبك إليه ، فلا تتصوَّر أنك تستطيع أن تأتى لتطلب منى أن أحقق لك هذا المطلب الغريب ، الذى ترفض أن تمنحنى تفسيرًا مقنعًا له ، وأجعلك مندوبًا لمؤسستى ، ثم أرسل بك إلى عميل هام له وزنه مثل (ديلون) ، حتى ولو كنت قد أنقذت حياتى .

(ممدوح) :

- وماذا عن حياة ابنتك ؟.. ألا تستحق فى نظرك تقديم مثل هذه الخدمة لشخص مثلى ؟

تحول إليه (رينيه) ، وفى عينه نظرة حادة ، قائلًا :

- ابنتى ؟!

فى تلك اللحظة ، فُتِحَ باب جانبى ، وظهرت من خلفه فتاة حسناء ، تبدو فى العشرينات من عمرها ، وقالت :

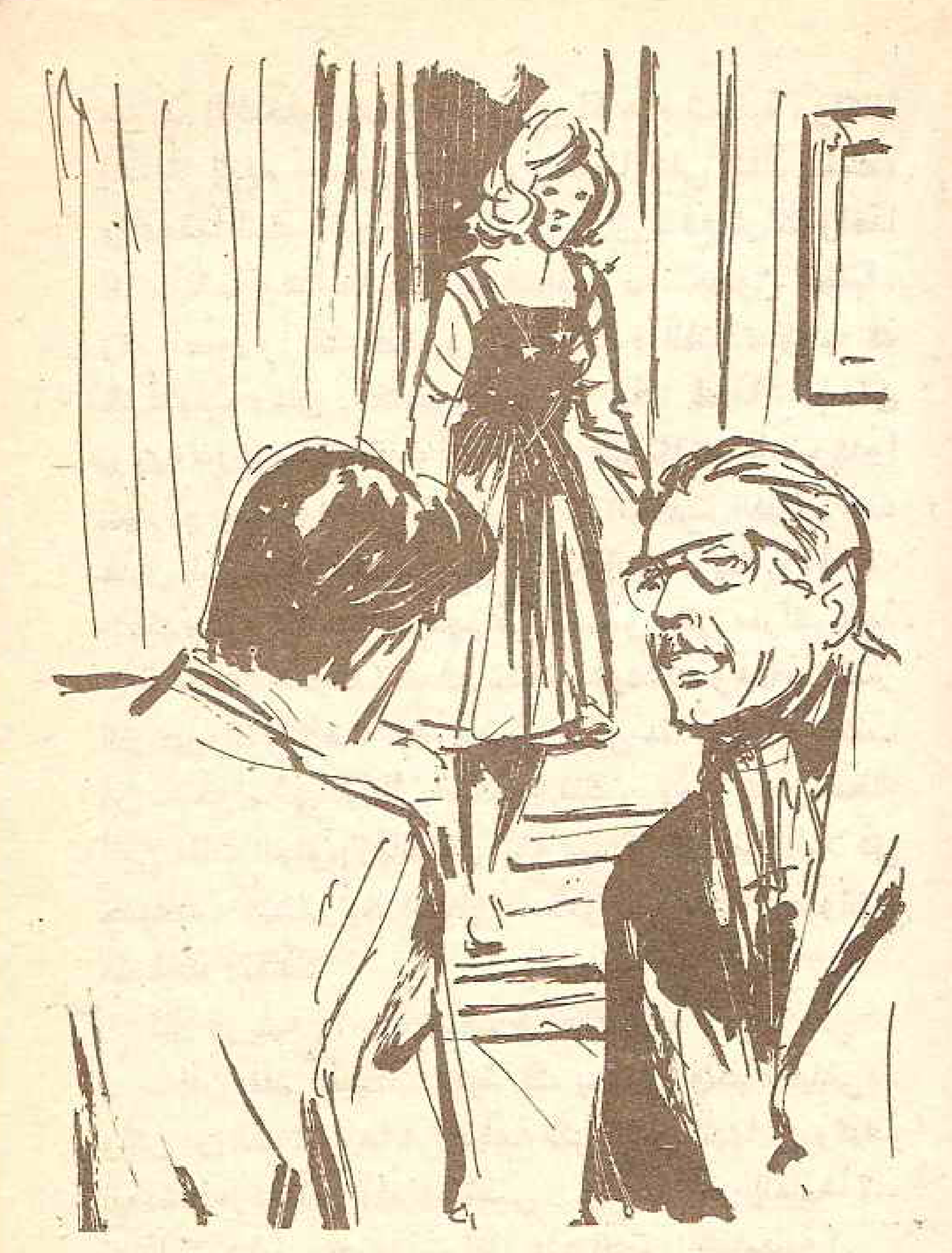
- نعم يا أبى .. لقد أنقذ هذا الرجل حياتى .

اندفع (رينيه) يحتضن الفتاة فى لهفة واشتياق ، والعبرات تتساقط من عينيه ، على نحو يتعارض مع شخصيته الصارمة ، وملامحه القاسية ، وهو يردِّد قائلًا :

- (سولى) .. حمدًا لله على أنك بخير يا بنتى .. حمدًا لله على إننى رأيتك مرة أخرى بخير .

(ممدوح) :

- كنا نعلم أن ابنتك قد اختطفت ، بوساطة إحدى العصابات ، التى حاولت مساومتك على دفع فدية باهظة ، فى مقابل إعادتها ، وأنك كنت تخفى الأمر عن الشرطة ، حتى لاتصاب الفتاة بمكروه ، انتظارًا لتدبير المبلغ .. الواقع إن ثراءك وقسوتك جعلا لك أعداء كثيرين يا مسيو (رينيه) ، حتى أننا لم نستطع أن نحدد على وجه الدقة ،



فى تلك اللحظة ، فُتِحَ باب جانبى ، وظهرت من خلفه فتاة حسناء ، تبدو فى العشرينات من عمرها ..

من هم الأشخاص الذين يقفون وراء هذه العملية ، ولكننا اهتدينا إليهم بصعوبة بالغة ، وعملنا على إنقاذ ابنتك ، وإعادتها إليك سليمة معافاة ، دون أن تدفع فرنكًا واحدًا لقاء ذلك ، وهذا ما جعل المختطفين يستشيطون غضبًا ، وقد تصوروا أنك أنت وراء استعادة الفتاة ، وأنك قد خدعتهم ، وكان بعضهم يضمر لك حقدًا قديمًا ، لم يكن يرويه سوى سلبك مئات الآلاف من الفرنكات ، فلما وجدوا أنهم لم يحصلوا على شيء ، وأنك استعدت الفتاة ، جاء هذان الرجلان للقضاء عليك ، انتقامًا منك ، بعد أن فشلت خطتهم .. وكنت قد سبقتهم فى الحضور إلى منزلك ، منذ عدة ساعات ، حيث كنت فى انتظار عودتك ، وهذا ما يفسر الترحيب الذى لاقيته لدى حضورى إلى هنا ، وكيف تمكنت من الدخول إلى فيلتك بصحبة ابنتك .. ومن حسن حظك أننى مللت الجلوس بالداخل ، وأردت أن أتريض قليلًا فى حديقتك ، حيث رأيت الخطر المحدق بك لحظة وصولك ، فتدخلت لإنقاذك .

قال (رينيه) ، وقد أسقط فى يده :

ـ إذن فقد أصبحت مدينًا لك بحياتى وحياة ابنتى .. ولكن من أنت ؟.. وما هى الجهة التى تنتمى إليها ؟.. وكيف أمكنك معرفة أمر اختفاء ابنتى .. وتدبير أمر إنقاذها ؟.. لماذا لا تعطينى تفسيرات لكل هذه الأمور الغامضة ؟

(ممدوح) :

ـ وماذا يعنيك من هذا ؟.. ألا يكفيك إنقاذ حياتك واستعادة ابنتك ؟

(رينيه) :

ـ معك حق .. لقد أصبحت مدينًا لك ، ويتعيَّن علىَّ أن أوفى بجزء من قيمة هذا الدين ؛ لذا سأمنحك ما أردت ، وإن كنت قد بدأت أفهم الدور الذى تلعبه ، والجهة التى تنتمى إليها .. لابد أنك تتبع أحد أجهزة المخابرات .. أليس كذلك ؟

(ممدوح) :

ـ لك أن تفسر الأمور كما تشاء يا مسيو (رينيه) ، فما يهمنى هو أن ترسل بى إلى هذه الجزيرة ، بخطاب معتمد من مؤسستك ، باعتبارى مندوبًا لها ، للإشراف على أحد مستحضرات التجميل ، التى تنتجها مصانع (ديلون) ، بتصريح من مؤسسة (رينيه) العالمية ، وأن يبقى هذا الأمر سرًا بيننا .

(رينيه) :

ـ ستجاب إلى ما تطلبه ، وأعدك أن يبقى الأمر سرًا بيننا ، بشرط أن أحصل منك أنت الآخر على وعد ،

بألا ينطوى عملك السرى هذا على أى إضرار بسمعة مؤسستى .

(ممدوح) :

ـ أعدك بذلك .

(رينيه) :

ـ حسن .. سأتصل بهم فى المؤسسة ؛ لترتيب الأمر اللازم بالنسبة لك .

(ممدوح) :

ـ وتجرى اتصالاتك أيضًا بـ (ديلون) ؛ لكى تخبره أنك فى طريقك إلى إرسال مندوب من مؤسسة (رينيه) ، للتأكد من أنه يراعى المواصفات الخاصة بالمؤسسة ، فى إنتاجه لمستحضر التجميل الذى يحمل اسمك ..

هذه هى خطوتنا الأولى .

* * *



٦ ـ فى جزيرة (منوركا) ..

جلس (ممدوح) فى مقعده بالطائرة المتجهة إلى (مدريد) ، وهو يفكر فى خطوته التالية .. لقد نجح حتى الآن فى الحصول على وظيفة مندوب ، لمؤسسة (رينيه) الدولية لمستحضرات التجميل ، وهذا سيتيح له فرصة الدخول إلى مملكة ذلك المليونير المزعوم (ديلون) ، والتنقل فى أرجائها ، بناء على التفويض الذى يملكه ، كما أنه من المفروض أن يعامل معاملة طيبة ، لأنه يستطيع وفقًا للتفويض الممنوح له ، إلغاء التصريح الذى حصل عليه (ديلون) ، لإنتاج ذلك المستحضر الذى منحته له مؤسسة (رينيه) .

ولكن ترى هل سينجح فى تمثيل دوره ، أم ستكتشف حقيقته ؟

هل سيذهب كل هذا الجهد المبذول هباء ، فى حالة ما إذا تبين أن (ديلون) ليس هو الشخص المطلوب (توماس مالون) ، وأنه شخص آخر ؟

إن هذا سيعنى أن عملية البحث عن (الشبح) قد فشلت منذ بدايتها ، وأن عليهم أن يبدءوا من الصفر ، بحثًا عن ذلك (الشبح) الخفى .

إن خطته إذن ستنحصر فى أمرين : أولًا : كشف ما إذا كان المليونير الفرنسى صاحب مصانع مستحضرات التجميل ، هو نفسه (توماس.مالون) أم لا ؟ والهدف من انتحاله هذه الشخصية ، والدور الذى ينوى أن يلعبه من خلالها ؟.. ثانيًا : الحرص على إخفاء شخصيته الحقيقية ، خاصة وأن عمل (توماس) فى المخابرات الأسترتانية لابد أنه جعله يحصل على تقرير وافٍ عنه ، باعتبار أن له سجلًا حافلًا مع الأسترتانيين ، وهذا مادفعه إلى تغيير بعض ملامحه ، حتى لايمكن تعرّفه ، وإفساد مهمته منذ البداية .

إن كل ما يأمله الآن هو أن يكون (ديلون) هو نفسه (توماس مالون) حتى تكون خطواته فى الاتجاه الصحيح .

وغادر (ممدوح) الطائرة فى مطار (مدريد) ، متجهًا إلى الباب الخارجى ، بعد أن أنهى إجراءاته ، وما أن اجتاز الباب حتى سمع صوتيًا ينادى مرددًا :

ـ مسيو (كامبليون) .

تنبه ممدوح إلى أن هذا هو الاسم الذى ينتحله ، فالتفت إلى مصدر الصوت ، ووجد أحد الأشخاص يتجه نحوه بخطى سريعة ، واقترب منه قائلًا :

ـ مسيو (كامبليون) .. أليس كذلك ؟

(ممدوح) :

ـ نعم .

قال له الرجل :

ـ لقد أوفدنى مسيو (ديلون) لاستقبالك ، ومصاحبتك إلى جزيرة (منوركا) .

(ممدوح) :

ـ يسعدنى ذلك .

تناول الرجل حقيبة (ممدوح) ، ليضعها داخل سيارة حمراء فارهة ، توقفت أمامهما ، وأشار له بالركوب فى المقعد الخلفى ، وجلس الرجل إلى جوار (ممدوح) ، حيث تحركت بهم السيارة ، ونظر (ممدوح) إلى الرجل ، فوجد ملامحه جامدة ، وقد أخذ ينظر إلى الطريق أمامه ، دون أن ينطق بكلمة ، وكأنه تمثال من الجرانيت ، مما أتاح له فرصة تأمّله ..

كانت كلمة الجرانيت منطبقة عليه تمامًا ، فالرجل فارع القوام ، ضخم الجثة ، له ملامح حادة ، وعضلات مفتولة كالصخر ، ويبدا له أشبه بحارس خاص ، منه برجل علاقات عامة ، وأراد (ممدوح) أن يحرك هذا التمثال الجامد ، ويدفعه للحديث ، فسأله قائلًا :

- هل سنذهب إلى الجزيرة بهذه السيارة ، أم بأحد القوارب البحرية ؟

التفت إليه الرجل ، دون أن يتخلى عن قناعه الجامد ، قائلًا :

- بل بطائرة مسيو (ديلون) الخاصة .

(ممدوح) :

- هل يمتلك مسيو (ديلون) طائرة خاصة ؟

أجابه الرجل وهو ينظر إليه ، وكأنه يستغرب طرح مثل هذا السؤال :

- بل ثلاث طائرات .

أطلق (ممدوح) صفيرًا قصيرًا ، قائلًا :

- لابد أن مسيو (ديلون) هذا ثرى للغاية .. هل تحقق مستحضرات التجميل أرباحًا عالية إلى هذا الحد ؟

قال له الرجل ببرود :

- أعتقد أنه ليس من حق أحد منا أن يطرح مثل هذا السؤال ، وإن كان ثراء مسيو (ديلون) لا علاقة له بمستحضرات التجميل ، فمنتجات معامله لم تطرح فى الأسواق العالمية بعد ، إنها أحد مشروعاته ، التى ما زالت فى طور التنفيذ .

وصمت برهة ، قبل أن يقول وفى عينيه نظرة فاحصة :

- ثم إن خبيرًا مثلك ، موفد من مؤسسة عالمية لمنتجات التجميل ، لابد أن لديه فكرة واضحة عما إذا كانت تلك المستحضرات تحقق أرباحًا عالية أم لا .

وعلى الرغم من أن ما قاله له الرجل جاء مباغتًا ومنطقيًا ، إلا أن (ممدوح) رد عليه بلباقة ، قائلًا :

- إن خبرتى تنحصر فى النواحى الفنية ، أما عن حساب الأرباح والخسائر ، فخبرتى فيها ضعيفة للغاية .. ومعذرة لو أن أسئلتى أزعجتك ، ولكنى فقط أردت أن أتجاذب معك أطراف الحديث ، فالرحلة من (فرنسا) إلى (أسبانيا) كانت مملة للغاية ، ومن حظى أن الراكب الذى جاورنى كان أبكمَ .

قال له الرجل ، وكأنه يحذره بطريقة غير مباشرة :

- أحب أن أنبهك إلى أن مسيو (ديلون) لا يميل إلى الثرثرة .

قال (ممدوح) ، وهو يتناول سيجارة من علبة سجائره ، ليضعها فى فمه :

- هذا شىء مؤسف ، فقد كنت أظنه اجتماعيًا أكثر من ذلك .

تناول الرجل قدَّاحة من جيبه ، ليشعل بها سيجارة (ممدوح) ، قائلًا بلهجة جادة :

ـ المهم أنك ستجد استجابة كاملة ، فيما يتعلق بالعمل الذى جئت من أجله .

حمد (ممدوح) الله فى سره ، على أنه تلقى تدريبًا مكثفًا فى أحد معامل (رينيه) الكيميائية ، على المواصفات المطلوبة ، للمنتج الذى جاء من أجل رقابة إنتاجه ، وعاد يقول للرجل الجالس إلى جواره :

ـ بالمناسبة .. لقد نسيت أن أتعرف اسمك .

أجابه الرجل :

ـ (كارزو) ... ويدعوننى أحيانًا (الذراع الحديدى) .

نظر (ممدوح) إلى ذراعه ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ أعتقد أنها تسمية صحيحة تمامًا .

وبعد قليل توقفت السيارة أمام إحدى حظائر الطائرات ، حيث قام أحدهم بفتح باب الحظيرة ؛ لتواصل سيرها حتى توقفت أمام طائرة مروحية كبيرة ، ودعا (كارزو) (ممدوح) لمغادرة السيارة وركوب الطائرة ، فوقف يتأملها قليلًا ، قبل أن يأخذ مكانه إلى جوار قائدها ، الذى كان جالسًا فى انتظارهما ، فى حين استقر (كارزو) فى

المقعد الخلفى ، ودارت مروحة الطائرة فى سرعة ، لترتفع بهم عن الأرض ، متخذة طريقها إلى جزيرة (منوركا) ، حيث الأراضى والمصانع والنفوذ ، التى يمتلكها (ديلون) ، فى هذه الجزيرة الساحلية ..

وعاد السؤال يلحّ على عقل (ممدوح) وتفكيره ..

هل يكون ذلك المليونير ، الذى ينوى أن يخوض المنافسة فى مجال مستحضرات التجميل ، هو نفسه (توماس مالون) ، عميل المخابرات الأسترتانية ، أو (الشبح) ، الذى يحمل اختفاؤه وظهوره دائمًا نذيرًا بالشر والخطر ؟..

إن عليه أن يكشف ذلك بنفسه ، وأن يستعين فى ذلك بما زوَّدته به المخابرات المصرية من معلومات ، حول شخصية (مالون) .. وطبائعه ..

لقد أخبروه أنه شخص شديد الاعتداد بنفسه ، ويميل دائمًا إلى إظهار تفوّقه على الآخرين ، وهناك شىء آخر أكثر أهمية من ذلك ، وهو أن (توماس مالون) له حركة عصبية تلقائية ، مرتبطة به منذ الصغر ، وهى أن عينه اليسرى ترتعش لعدة ثوان ، فى حالة انفعاله ، أو إذا ما استثاره أحد ، وهى حركة سريعة ، لا تتجاوز بضع

ثوان ، ثم لا تلبث أن تختفى ، حتى ولو استمر انفعاله لوقت طويل ، وتحتاج إلى سرعة ملاحظة من الشخص الذى يواجهه ..

وهذه المعلومة ستكون ذات فائدة كبيرة بالنسبة له ،.. فمهما كانت براعة جراح التجميل ، الذى أجرى العملية لـ (توماس مالون) ، إلا أن (توماس) لن يستطيع أن يتخلص بسهولة من تلك العادة العصبية التى تلازمه ، بنفس الطريقة التى غير بها ملامح وجهه ..

وبعد ثلث الساعة ، بدأت الطائرة تهبط تدريجيًا فوق ساحة رحيبه من الرمال ، وغادرها (كارزو) يتبعه (ممدوح) ، حيث كانت فى انتظارهما سيارة أخرى صغيرة ، سرعان ما تحركت بهما وسط مجموعة من الأبنية والمزارع الصغيرة ، ولاحظ (ممدوح) وجود مبنيين كبيرين ، تتوسطهما ثلاثة أبنية صغيرة ، وقد أحيطت بالأسوار العالية والأبواب المعدنية ، وبعدد من الحراس المدججين بالسلاح ، يتحركون جيئة وذهابًا حول الأسوار وأمام الأبواب ، وقال (ممدوح) ، وهو يشير إلى تلك المبانى :

ـ لابد أن هذه هى المصانع والمعامل ، المخصصة لإنتاج مستحضرات التجميل .

أجابه (كارزو) فى اقتضاب :

ـ نعم .. إنها هى .

قال (ممدوح) لنفسه ، وهو يتابع تلك الأبنية خلفه ، بعد أن ابتعدت عنها السيارة قليلًا :

ـ إنها تبدو وسط كل هذه الحراسة المشدَّدة ، أشبه بمركز للأبحاث العسكرية ، وليس مصنعًا لمستحضرات التجميل .

توقَّفت السيارة فى بقعة مختلفة تمامًا ، عما رآه فى طريقه ، منذ غادر الطائرة ..

كان المكان أشبه بميدان صغير ، محاط بالحدائق والنافورات الصغيرة ، تواجهه فيلا أنيقة تطل على الميدان الصغير ، فاستنشق (ممدوح) بقوة شذى الزهور المنبعث من المكان ، وهو يغادر السيارة ، واصطحبه (كارزو) إلى طريق جانبى ، به مبنى صغير ، لا يقل روعة وجمالاً عن المكان المحيط به ، وعندما اقترب (كارزو) فُتحَ باب المبنى الصغير إلكترونيًا ، حيث سار (كارزو) وبصحبته (ممدوح) ، داخل رواق صغير ، فى نهايته سلم رخامى يؤدى إلى طابق علوى ، ولاحظ (ممدوح) وجود حارسين مسلحين ؛ على مقربة من جانبى السلم ، الذى صعد فيه

(كارزو) حتى وجد نفسه فى قاعة صغيرة بها حجرتان ، فتح (كارزو) باب إحداهما ، وهو يشير إلى (ممدوح) ، قائلًا :

- تفضل .

كانت الغرفة من الداخل أنيقة واسعة ، وبها شرفة كبيرة ، تطل على أحد أركان ميدان الزهور ، ونظر (كارزو) إلى (ممدوح) ، وفى عينيه تلك النظرة المتصلبة ، قائلًا :

- أرجو أن تعجبك الغرفة .

(ممدوح) :

- إنها ممتازة بالفعل .

(كارزو) :

- حسن .. هناك فتاة مقيمة فى الغرفة المجاورة ، ستعمل على تلبية طلباتك ، وستكون همزة الوصل بينك وبين السيد (ديلون) ، يمكنك أن تعتبرها بمثابة سكرتيرة لك ، طوال فترة إقامتك هنا .

(ممدوح) :

- ولكن متى سألتقى بالسيد (ديلون) ؟

(كارزو) :

- ذلك ما ستحدّده لك السكرتيرة فيما بعد .. لقد انتهى دورى هنا .

وانصرف الرجل ذو الذراع الحديدية ، فى حين أخذ (ممدوح) يتفحّص المكان حوله بدقة وحذر ، ولم يتبيَّن بالنظرة الفاحصة السريعة وجود أية أجهزة إلكترونية للتصنت ، أو المراقبة التليفزيونية ، أو شىء أشبه بذلك ، وكان قد أحضر معه جهازًا صغيرًا ، للكشف عن وجود أية أجهزة إلكترونية مخفاة لمراقبته ، ولكنه فضَّل عدم إخراجه من الحقيبة واستخدامه ، طالما الغرفة مضاءة فلو انه توجد أجهزة مراقبة إلكترونية بالفعل داخل الغرفة ، فهى ستكشف عن استخدامه لهذا الجهاز ، وهذا سيزيد من ارتيابهم فيه ، لأنه تصرف لا يصدر عن إنسان عادى ، ولكنه قرر استخدامه بعد إطفاء أنوار الغرفة ، وقبل خلوده إلى النوم ..

وتمدَّد (ممدوح) على الفراش ، وقد عقد ساعديه خلف رأسه ، وهو يقول لنفسه :

- لو جاء استخدامى للجهاز مطابقًا للنتيجة ، التى كشفت عنها نظرتى السريعة المبدئية ، فستكون هذه نقطة

لصالح (ديلون) ، لأن رجلًا مثله ، له تاريخ طويل فى المخابرات ، لا يغفل عن تبرير أمر مراقبة أى وافد جديد يفد إليه مثلى ، حتى ولو كان يعمل تحت ستار مندوب مؤسسة تجميل عالمية .

وفجأة انتفض (ممدوح) فوق فراشه ، وأخذ يتنقل فى أرجاء الحجرة فى حركة سريعة ..

لقد لفت انتباهه وجود ثلاث مرايا كبيرة على جدران الغرفة ، دون مبرر حقيقى ، ولو كان تخمينه صحيحًا ، فإن (توماس) لن يكون بحاجة ماسة إلى أجهزة إلكترونية لمراقبة تصرفاته ، فيكفيه وجود ثلاث مرايا عاكسة ، كتلك المعلَّقة على الجدران ، لكشف كل ما يدور داخل الغرفة ..

وفى تلك الحالة ، لن يكون مفيدًا بشىء وجود جهاز لمراقبة الإلكترونيات ، كذلك الذى يحمله ، ويكون (ديلون) قد خسر النقطة التى كاد (ممدوح) يمنحها لصالحه ، ولكن لابد له أولًا ، وقبل أن يصدر حكمًا فى هذا الشأن ، من التأكد مما إذا كان موضوعًا تحت المراقبة أم لا ..

وهذا أخطر ما فى الأمر ..

* * *

٧ ـ نظرات مستريبة ..

أطفأ (ممدوح) أنوار الحجرة ، تاركًا بصيصًا من الضوء ، ينبعث من (أباجورة) صغيرة إلى جوار فراشه ، ثم تسلَّل من الباب إلى الرواق الخارجى ، حيث لمح أحد الحارسين المسلحين يقف فى نهايته ، وقد انشغل بإشعال سيجارته ، واستخدم إحدى أدواته لفتح باب الغرفة المجاورة ، فى خفة ومهارة ، فانفتح أمامه على الفور ، وما لبث أن تسلل إلى الداخل ، وهو يمشى على أطراف قدميه ، بعد أن أغلق الباب خلفه بهدوء ، ليجد فتاة حسناء ذهبية الشعر ، جالسة أمام مرآة من ذلك اللوع الموجود فى حجرته ، والتى كانت فى الواقع هى الجانب العاكس من مرآته ، والتى كانت تراقب من خلالها ما يدور داخل الحجرة ، وبدا أن الفتاة كانت قلقة لمغادرة (ممدوح) الحجرة ، وعدم عودته إليها فى الحال ، فى حين كان هذا الأخير واقفًا خلفها ، دون أن تشعر به ، وما لبث أن همس لها :

ـ هل تبحثين عن شىء ؟

التفتت إليه الفتاة فى فزع ، وظلت لحظة تحدق فيه غير مصدِّقة ، ثم قالت :



بعد أن أغلق الباب خلفه بهدوء ، ليجد فتاة حسناء ذهبية الشعر ، جالسة أمام مرآة من ذلك النوع الموجود فى حجرته ..

ـ كيف .. كيف تسلَّلت إلى هنا ؟

أجابها (ممدوح) :

ـ لقد شعرت ببعض الأرق ، فجئت أبحث عن شىء يساعدنى على النوم ، فى هذه الغرفة .

ثم نظر إلى المرآة ، قائلًا بتهكم :

ـ إننى أرى أن مرآتك غريبة الشكل نوعًا ما .

ضغطت الفتاة سريعًا على زر أمامها ، فاكتست المرآة بلون أسود قاتم ، ثم نهضت قائلة فى غضب :

ـ من الخطأ أن تغادر غرفتك على هذا النحو ، وتتسلَّل إلى غرف الآخرين يا سينيور (كامبليون) ..

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا بلطف :

ـ هل ضايقتك ؟

ردت عليه ، قائلة :

ـ من المفروض أن تكون الآن نائمًا فى فراشك ؟

(ممدوح) :

ـ لقد أخبرتك أننى شعرت بشىء من الأرق ، وعلى كل ، فلا أعتقد أننى جئت للإقامة فى مدرسة داخلية .

تركته الفتاة وذهبت إلى غرفة جانبية ، ثم عادت لتقدم له أحد الأقراص ، قائلة :

- هذا القرص سيساعدك على النوم .

تناوله (ممدوح) ، دون أن يرفع عينيه عن وجهها ، قائلًا :

- أشكرك .

وتحرَّك خطوتين نحو الباب ، كما لو كان يتأهَّب لمغادرة الغرفة ، ولكنه ما لبث أن توقف ، قائلًا :

- لابد أنك الآنسة ، التى أخبرنى (كارزو) أنه يمكننى أن أعتبرها سكرتيرة لى .

أجابته ، قائلة :

- إننى مكلفة خدمتك ، طوال فترة إقامتك هنا .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

- إننى إذن سعيد الحظ ، لكى تعمل على خدمتى فتاة جميلة مثلك .. بالمناسبة ما اسمك ؟

أجابته قائلة :

- (ماريا) ..

(ممدوح) :

- اسم جميل ، ويتفق مع جمال صاحبته .

ثم صمت برهة ، قبل أن يستطرد ، قائلًا :

- حسن .. يا (ماريا) .. بما أنك مكلفة خدمتى ، طوال إقامتى هنا .. هل يمكننى أن أطالبك بتقديم خدمة لى الآن ؟

ردت عليه الفتاة بسرعة :

- بالطبع يا سنيور (كامبليون) .

(ممدوح) :

- هل يمكنك أن تبتسمى ؟

نظرت إليه الفتاة لحظة بدهشة ، وقد استغربت طلبه المفاجئ والغريب ، ولكنها ما لبثت أن امتثلت ، وابتسمت له ، فنظر إليها (ممدوح) بإعجاب ، قائلًا :

- هذه الابتسامة تزيدك جمالاً ، وأعتقد أنها ستساعدنى على أن أحلم أحلامًا سعيدة .

ثم أغلق الباب خلفه .. ولكنه عاد يفتحه مرة أخرى ، قائلًا :

- بالمناسبة .. سأتناول القرص الذى قدمته لى ، ثم آوى إلى فراشى ، وأعتقد أننى سأنام نومًا عميقًا ؛ لذا فلا داعى لأن تسهرى أمام هذه المرآة ، وتكلفى نفسك عناء مراقبتى طوال الليل ، فلا معنى لمراقبة رجل نائم .. أنصحك أن تفعلى مثلى ، وتأوى إلى فراشك ، ثم تنامى ملء جفنيك ، وتأكدى أن هذه النصيحة ستحافظ على نضارتك وجمالك .

ثم عاد يُغلق الباب خلفه مرة أخرى ، تاركًا الفتاة تشعر بالحيرة والإعجاب ، تجاه هذا الرجل المدهش ، الذى يتسم

بالوسامة والذكاء ، والذى قُدِّر لها أن تكون رقيبة عليه ..
أما هو فوضع رأسه على الوسادة ، وهو يفكر قائلًا لنفسه :

ـ من المؤكد أن الذى يستخدم مرايا عاكسة من ذلك النوع ، ليراقب زائريه ، ليس بالرجل العادى ، ومن المؤكد أيضًا أنه يرتاب فى أمرى ، مما دعاه إلى مراقبتى على هذا النحو ..

ولكن ذلك ليس بالدليل الثابت على كونه (توماس مالون) ، أو الرجل (الشبح) ، فرجل أعمال له مثل هذا الثراء الفاحش ، لابد أن يكون أيضًا رجلًا غير عادى ، ولابد أن لديه أسرارًا يحرص على إخفائها ، وأن تكون لديه شكوك فى الآخرين .

هذه الأمور عادية ، بالنسبة لذلك النوع من الرجال ، ولكنها لا تعنى بالضرورة أن هؤلاء الرجال من النوع الخطر مثل (توماس) ..

إنه على كل حال سيعرف الكثير ، عندما يلتقى بذلك الرجل (ديلون) غدًا .

وسرعان ما أسلم عينيه للنوم ، ولكنه نوم حذر كنوم الثعالب ، واستيقظ بعد عدة ساعات منزعجًا ، على صوت صرخة مكتومة التقطتها أذناه ، وهمَّ بإنارة الضوء ، ولكنه تذكر مرآة المراقبة العاكسة ، ففضَّل البقاء فى الظلام ، ثم

نهض على أطراف أصابعه ، وأصاخ السمع قليلًا ، لكنه لم يسمع أية صرخات أخرى ، فاتجه إلى الشرفة ، ليطل منها على الميدان ، ولكن الأنوار كانت خافتة فى الزاوية التى أطل منها ، ولمح عددًا من الأشخاص يتحركون فى اتجاهات مختلفة ، ولكنه لم يستطع تبين ملامحهم بدقة ، فعاد إلى حجرته ، حيث تناول من حقيبته منظارًا أسود وضعه على عينيه ، ثم عاد إلى الشرفة مرة أخرى ، بعد أن رفع عدسات المنظار القاتمة إلى أعلى ، كاشفًا عدسات أخرى بنفسجية اللون ، من ذلك النوع الذى يعمل بالأشعة تحت الحمراء ، ومخصَّصة للرؤية فى الظلام ، كما أنها تعمل على تقريب المسافات ، وكانت تفقد هذه الخاصية بمجرد وضع العدسات الأخرى السوداء فوقها .

وبوساطة هذه العدسات ، لمح (ممدوح) أحد الأشخاص يزحف على يديه وقدميه ، محاولًا الاختفاء عن أنظار شخصين آخرين ، بدا أنهما يبحثان عنه ، واعتمد الرجل على عدد من الشجيرات الصغيرة المتجاورة فى إخفائه عن عيون مطارديه ، محاولًا الوصول إلى كوخ خشبى صغير ..

وبدون تفكير ، وثب (ممدوح) من شرفته إلى شرفة الغرفة المجاورة ، ثم منها إلى إحدى الأشجار ، التى استعان

بفروعها للهبوط على الأرض ، محاولًا اللحاق بالرجل ، الذى كان قد تمكن بالفعل من الاختفاء داخل الكوخ ، فتتبَّع (ممدوح) خطاه ، متخذًا نفس الوسيلة ، وهى الزحف على يديه وقدميه ، حتى تمكّن من الوصول إلى الكوخ ، وقبل أن يدلف إلى الداخل ، لاحظ وجود قطرات من الدم عند مدخل الباب ..

لقد كان الرجل مصابًا ، ومن الواضح أن هؤلاء الأشخاص ، الذين يطاردونه هم الذين تسبَّبوا فى إصابته .

دفع (ممدوح) الباب ، مندفعًا إلى الداخل ، وقد تخلى عن حذره فى مخاطرة حقيقية ، فقد يظنه الشخص المصاب أحد مطارديه ، وربما دفعه ذلك إلى الدفاع عن نفسه بشراسة ودون وعى ، ولكنه وجد الرجل راقدًا على الأرض ، فى حالة يرثى لها ، والدماء تنزف من كتفه بغزارة ، فاقترب منه حتى جثا إلى جواره على إحدى ركبتيه ، ليفحص جرحه .

كان الرجل مطعونًا بسكين فى كتفه ، وبدا أن الجرح غائر ، ونظر الرجل إلى (ممدوح) ، قائلًا بصوت هامس ، وهو يصارع الألم :

ـ لابد أنك ذلك الشخص الأجنبى ، الذى جاء من قبل معامل (رينيه) .

رد (ممدوح) ، قائلًا :

ـ نعم .. ما الذى فعل بك هذا ؟

أجابه الرجل وهو يتأوه :

ـ رجال (ديلون) .. لقد علموا أننى أسعى للقائك ، فطاردونى وكادوا أن يفتكوا بى لولا أننى أفلت منهم .. إنهم يرتابون فيك ، ويظنون أنك عميل لإحدى الجهات ..

(ممدوح) :

ـ وما الذى جعلهم يرتابون فىَّ ؟ إننى مندوب رقابة فنية ، لا أقل ولا أكثر .

قال الرجل المصاب :

ـ هذه طريقتهم فى التفكير هنا .. إنهم يرتابون فى أى وافد جديد ، وأى غريب عن المكان ، ويضعونه تحت رقابة شديدة .

(ممدوح) :

ـ هذه الأمور تتبع غالبًا ، ولكن بالنسبة للصناعات الهامة ، التى يخشى من كشف أسرارها ، لا بالنسبة لبعض معامل التجميل .. أعتقد أن رجال الأمن هنا يبالغون بعض الشىء .

قال الرجل متأوهًا :

- الأمر أخطر من مجرد صناعات التجميل .. أخطر بكثير .

أثار هذا القول فضول (ممدوح) ، إلا أنه أشفق على الرجل ، الذى كان يتألَّم بشدة ، فقال :

- لا تتحدث مادام الجرح يؤلمك على هذا النحو ، حتى أبحث عن وسيلة لتضميده .

ولكن الرجل أمسك ذراعه ، قائلًا :

- لا فائدة من هذا ، فالسكين الذى طُعِنْت به كان مسمومًا ، ولقد بدأ السم يسرى فى جسدى الآن ، وعما قليل سوف أفارق الحياة ، فدعنا لا نضيع الوقت .. إننى عميل حقيقى للمباحث الأسبانية ، فلدينا بعض الشكوك فى أمر هذا الرجل المدعو (ديلون) ، وفى الهدف من استئجاره الجزيرة ، ولقد أتيت فى محاولة لتحرى الحقيقة فى هذا المكان ، وتمكَّنت من العمل كأحد الكيمائيين فى معامل (ديلون) ، ولكنهم كشفوا أمرى ، وسعوا إلى قتلى ، وكان لابد من نقل ما توصلت إليه لشخص ما ، لنقله إلى العالم الخارجى ، بعيدًا عن هذه الجزيرة ، ولهذا لجأت إليك ، لأننى عرفت أنه محكوم علىَّ بالموت ، وبعدم مغادرة هذا المكان مهما حاولت .. وأيًا كانت حقيقتك ، سواء كنت

عميلًا لجهة ما ، أو مندوبًا لأحد معامل التجميل العالمية كما ذكرت ، فيجب أن تنقل ما أقوله لك إلى الجهات الأمنية ، فالمعمل رقم أربعة .. المعمل رقم أربعة ...

لم يستطع الرجل أن يكمل عبارته ، وجحظت عيناه ، واحتقن وجهه ، فى حين أخذت أطرافه ترتعد ، ثم ما لبث أن فارق الحياة ، بين يدى (ممدوح) ، الذى سمع - فى نفس اللحظة - صوت خطوات قادمة ، فأسرع يختفى خلف مجموعة من الصناديق الخشبية ، ثم فُتِحَ باب الكوخ ، ودخل منه ثلاثة رجال مسلحون ، هتف أحدهم ، وهو ينظر إلى الرجل الممدَّد على الأرض :

- ها هوذا .

اقتربوا منه ، وهم يصوبون إليه أسلحتهم ، وانحنى أحدهم نحوه ، ثم التفت إلى زميليه ، قائلًا :

- لقد مات .

رد الآخر ، قائلًا :

- لقد أراحنا منه .

وقال أحدهم :

- ولكن سنيور (ديلون) كان يريده حيًا لاستجوابه .

أجابه الآخر ، قائلًا :

- لم يكن هناك مناص من قتله ، فقد حاول الهرب .

قال الثالث :

- هيًا .. لا تضيعوا الوقت .. اسحبوا جثته إلى الخارج ، وليذهب أحدكم لإخبار سنيور (ديلون) بالأمر .

انتظر (ممدوح) حتى حملوا الرجل خارج الكوخ ، ثم غادر مكمنه ، وظل يصغى السمع قليلًا ، حتى تأكّد من أنهم قد ابتعدوا ، وبعدها غادر الكوخ ، عائدًا إلى المبنى الذى يقيم فيه ..

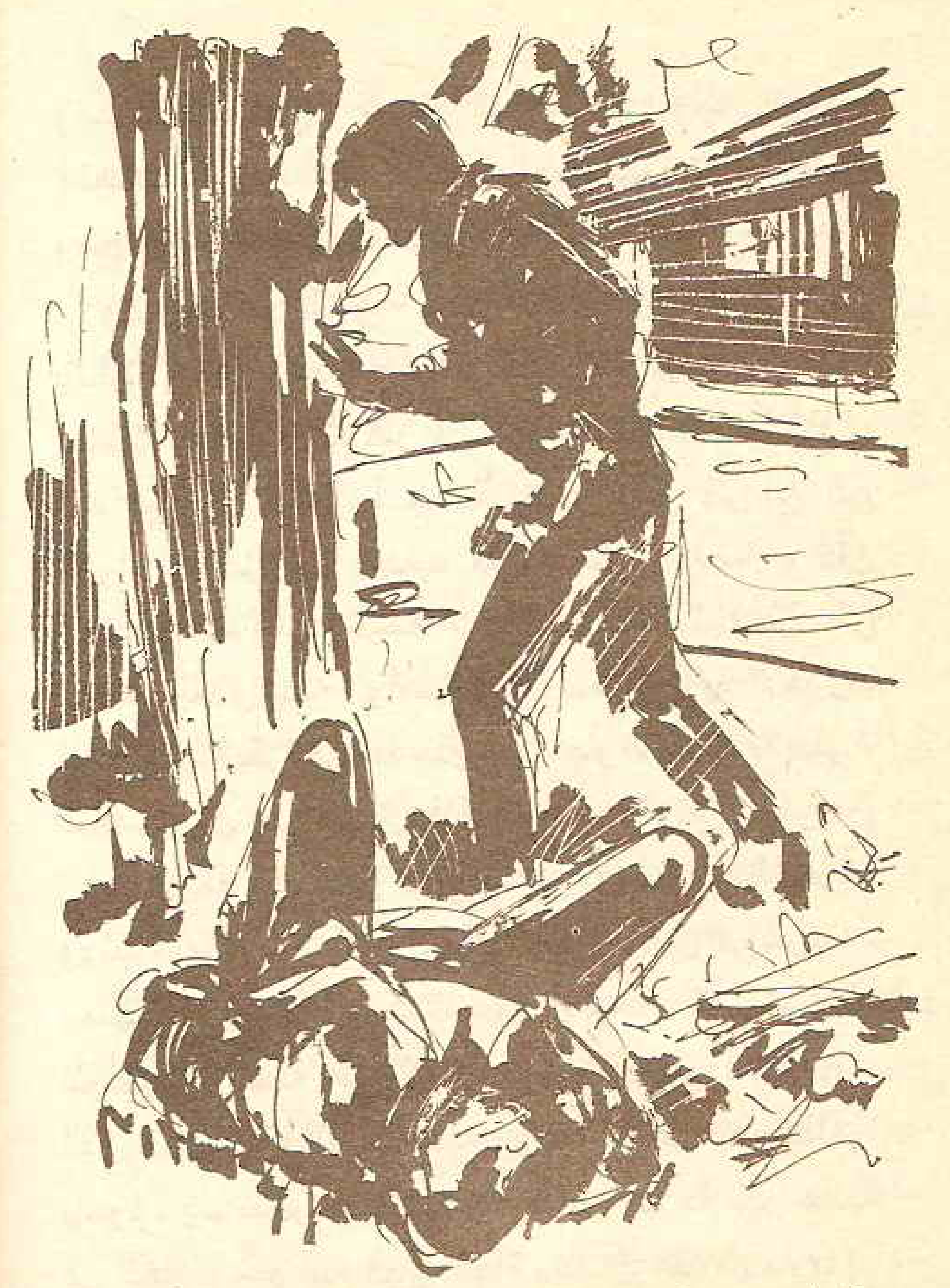
كان عليه أن يتسلق الشجرة الملاصقة للمبنى مرة أخرى ، ثم يقفز منها إلى الشرفة المجاورة ، ومنها إلى شرفة حجرته ، ولكن قبل أن يبدأ فى تسلق الشجرة ، سمع صوتًا آمرًا يهتف به :

- قف مكانك ، وارفع يديك عاليًا .

وأطاع (ممدوح) الأمر ، وقد أدرك خطورة موقفه ، وأمره صاحب الصوت أن يستدير ببطء ، ولأنه كان حريصًا على ألا يكشف أحدهم حقيقة أمره ، فقد تعمد أن يتثاقل فى حركته وهو يستدير ، فى حين امتدت أصابعه سريعًا ، لتلمس زرًا دقيقًا فى ساعته فى أثناء استدارته ، وعلى الفور انبعث من عدستها ضوء فوسفورى من نوع خاص ،

وصوب (ممدوح) عدسة الساعة إلى وجه الرجل ، فانعدمت الرؤية أمام عينيه ، وأحس بهما تحترقان من وهج الإشعاع المنبعث منها ..

وفى سرعة البرق ، وقبل أن تلمس أصابعه زناد بندقيته ، كان (ممدوح) قد سدَّد ركلة قوية إلى يده ، أطاحت بالبندقية ، ثم قفز فى الهواء ، مسدِّدًا ركلة أخرى أشد قوة إلى صدره ، جعلته يترنح وهو يتراجع إلى الوراء ، وقبل أن يستعيد قدرته على الإبصار ، كان (ممدوح) قد عاجله بلكمة عنيفة فى وجهه ، ثم قبض على ساعده بإحدى يديه ، وأمسك بياقة سترته باليد الأخرى ، ليدفع جبْهته بقوة فى أحد جذوع الأشجار المحيطة بالمبنى ، فسقط الرجل على الأرض فاقد الوعى ، دون أن يتمكن من رؤية غريمه ، فى حين اندفع (ممدوح) ليتسلق الشجرة ، ووثب منها إلى الشرفة ، ثم بقفزة أخرى وصل إلى شرفته ، ومنها إلى الغرفة ، حيث قام بتبديل ثيابه ، التى كانت قد تلوثت بفعل زحفه على الأرض ، وصراعه مع ذلك الرجل ، الذى حاول إلقاء القبض عليه ، وعاد إلى فراشه متظاهرًا بالنوم ، ولم تمض لحظات ، حتى أحس بحركة غير عادية فى الخارج ، ثم فتح الباب فجأة ، لتدخل الفتاة (ماريا) ،



وقبل أن يستعيد قدرته على الإبصار ، كان (ممدوح) قد عالجه بلكمة عنيفة فى وجهه ..

ومعها ثلاثة من الرجال المسلحين ، وأضيئت أنوار الحجرة ، فتثاءب (ممدوح) ، وهو ينهض من الفراش ، ثم نظر إليهم فى دهشة ، وقد أحاطوا بسريره ، ثُم قال محتجًا ومستنكرًا :

ـ ما معنى هذا ؟.. كيف تقتحمون الحجرة وتوقظوننى على هذا النحو ؟

سأله أحدهم فى غلظة :

ـ سنيور (كامبليون) .. هل غادرت حجرتك منذ قليل ؟

قال (ممدوح) متصنعًا الدهشة :

ـ ما هذا الهراء .. كنت أغط فى النوم منذ عدة ساعات ، عندما أيقظتمونى على هذا النحو المزعج .

قالت الفتاة بهدوء :

ـ هناك من يعتقد أنك غادرت حجرتك ، وهاجمت أحد الأشخاص خارج هذا المبنى .

تظاهر (ممدوح) بالدهشة ، وهو يقول :

ـ لابد أن لديكم هنا مجموعة من المخبولين .. هل تظنين أننى سأغادر فراشى فى هذه الساعة ، لأتشاجر مع أحد الأشخاص ؟! ولماذا أفعل ذلك ؟.. ثم كيف سيمكننى

مغادرة غرفتى والمبنى هكذا ، دون أن يوقفنى أولئك الرجال المسلحون داخل وخارج المبنى ؟. إن المكان يشبه السجن ، أكثر منه مكانًا للمبيت .

قال أحدهم :

ـ سنتأكد من حقيقة الأمر على أية حال .

ثم أشار بيده ، فدخل الشخص الذى تقاتل معه (ممدوح) وقد بدت آثار الكدمات واضحة على وجهه ، وقال له المسلح ، وهو يجذبه من ساعده إلى فراش (ممدوح) :

ـ أهذا هو الرجل الذى تصارع معك ؟

حدَق الرجل فى وجه (ممدوح) بنظرات ثاقبة ، وحاول (ممدوح) أن يبدو رابط الجأش ، على الرغم من قطرات العرق البارد ، التى بدأت تبلل جبينه ، فقد بدت نظرات التردّد واضحة فى عينى الرجل المصاب ، وبدت نظرات التحفز للقتل جلية فى عيون أولئك المسلحين ، وكلمة واحدة ينطقها هذا الرجل قد يترتب عليها حكم عاجل النفاذ أو مؤجل بإعدامه .

قال له الرجل ، وهو يحاصره بنظراته المرتابة :

ـ هل تسمح بالنهوض والوقوف على قدميك ؟

كان من الواضح أن الرجل يريد أن يحدد حجمه على وجه الدقة ، حتى يصدر حكمه عليه ، ولم يجد (ممدوح) بدًّا من إجابته ، فغادر فراشه ، ليقف أمامه على قدميه .

وكانت لحظة الحكم ..





٨ ـ المعمل الرابع ..

أخذ الرجل المصاب يدور حول (ممدوح)، ثم قال :

ـ لقد كان فى مثل حجمه تقريبًا ، ولكننى لا أستطيع أن أجزم بأنه هو ، فقد كان المكان شبه مظلم ، ولم يتح لى ذلك الشخص الفرصة لكى أراه وأتعرَّفه ، خاصة عندما استخدم ذلك الشىء المشع فى يده ، والذى كاد أن يذهب ببصرى .

قال (ممدوح) محتجًا :

ـ مازلت لا أفهم معنى هذا الهراء .. إننى سأتقدم باحتجاج إلى سنيور (ديلون) ، كما سأضيف ما حدث إلى تقريرى ، الذى سأقدمه إلى مقر المؤسسة التى أعمل بها ، وذلك للنظر فى هذه المعاملة الغريبة .

تطلع إليه المسلَّح ، الذى كان يخاطبه ، دون أن تفارقه نظرات الشك ، قبل أن يقول :

ـ معذرة يا سنيور .. إننا ننفذ الأوامر .

ثم انصرف مع أعوانه ، تاركًا الفتاة وحدها معه .

قالت (ماريا) بعد انصرافهم :

ـ يبدو أن هؤلاء الرجال قد تصرفوا بحماقة بعض الشىء .

(ممدوح) :

ـ الأمور تبدو لى هنا غريبة بالفعل ، فقد زرت العديد من الشركات الصناعية ، التى تعمل فى مجال مستحضرات التجميل ، بتصريح من مؤسسة (رينيه) ، ولكننى لم أر كل هذا الاهتمام البالغ بالأمن ، الذى أراه هنا .

(ماريا) :

ـ سنيور (ديلون) حريص على سرية صناعة منتجاته ، خاصة وأنها البداية الأولى له ، فى المنافسة فى هذا المجال .

(ممدوح) :

ـ يبدو أن أحدهم قد حاول اختراق هذه السرية ، فذلك الرجل مصاب ، ويتحدث عن شخص ما تعرض له ، كما أنه خيل إلى أننى قد سمعت صرخة ما ، وإن كانت غير واضحة تمامًا ، تنبعث من الخارج .

قالت الفتاة بلهجة هادئة :

ـ لا تشغل نفسك بهذه الأمور ، ويكفى ما سببناه لك من إزعاج .

عادت الابتسامة إلى وجه (ممدوح) ، وهو ينظر إلى الفتاة ، قائلًا :

- فى الواقع .. إن رؤية وجه جميل كهذا يذهب بأى انزعاج .

ضحكت الفتاة ، قائلة :

- ألا ترى إنك تجاملنى كثيرًا يا سنيور (كامبليون) ؟ سأتركك الآن لتستريح ، وتكمل نومك .

(ممدوح) :

- لا أعتقد أننى سأعاود النوم مرة أخرى ، فقد ذهب هذا الهجوم المباغت لأولئك الرجال بما تبقى لى من رغبة فى النوم .. متى سألتقى بالسنيور (ديلون) ؟

(ماريا) :

- ألا ترغب فى زيارة أحد المعامل أوَّلًا ؟

(ممدوح) :

- كنت أعتقد أننى سألتقى بسنيور (ديلون) أوَّلًا ، قبل أن أبدأ فى مباشرة عملى ؟

(ماريا) :

- سنيور (ديلون) سيلتقى بك الليلة .

(ممدوح) :

- إذن ما رأيك فى جولة صغيرة بأرجاء المكان ، قبل أن أزور المعامل .

(ماريا) :

- كما ترغب .

(ممدوح) :

- بالمناسبة .. هل تعطون هنا أرقامًا للمعامل ؟ أعنى ، هل هناك مثلًا المعمل رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ وهكذا ، كما تفعل بعض الشركات .

(ماريا) :

- نعم .

(ممدوح) :

- حسن .. سأحتاج لبعض الوقت إذن ، لكى أشاهد هذه المعامل .

(ماريا) :

- أعتقد أن ما يهمك هو المعمل رقم (٢) فقط يا سنيور (كامبليون) ؛ فهوَ المختص بإنتاج منتجات تحمل اسم (رينيه) ، أما الباقى فلا يخصك فى شىء ، فهى منتجات جديدة ، لم يسبق طرحها فى الأسواق ، وستكون عليها علامة (ديلون) فقط .

(ممدوح) :

- ولكن ليس هناك ما يمنع ، ولو من باب المجاملة ، فأنا بالطبع لن أطلع على التركيبات الكيميائية لهذه المنتجات .

(ماريا) :

ـ أعتقد أن مثل هذا الأمر يحتاج لموافقة شخصية من سنيور (ديلون) .

تصنَّع (ممدوح) عدم المبالاة ، قائلًا :

ـ لو لم يرغب فى ذلك ، فلا داعى لإحراجه ، ولكننى سأقدم تقريرى عما أراه فقط ، وأتأكد من مطابقته لمواصفات (رينيه) العالمية ، فإذا ما كانت المعامل الأخرى ستطرح فى الأسواق منتجات مخالفة لما اطلعت عليه ، وقدمت تقريرى عنه ، وتحمل نفس العلامة المميزة ، فسوف يلغى التوكيل على الفور .

(ماريا) :

ـ على كل حال ، هذه مسائل فنية لا أفهمها ، وكما قلت لك يمكنك أن تطرح الأمر على سنيور (ديلون) ، عندما تلتقى به هذه الليلة .

قام (ممدوح) بجولة فى المكان بصحبة (ماريا) ، وعدَا المصنع والمعامل الكيميائية ، فقد بدت له تلك البقعة وكأنها منتجع سياحى رائع ، فقد كانت الخضرة والأشجار المورقة والزهور اليانعة منتشرة فى كل مكان ؛ أما المصنع والمعامل ، فقد كانت واقعة فى الجانب الشرقى ،

حيث بدت وكأنها منعزلة ، وعلى الرغم من روعة المكان ، فإن ما كان يثير اهتمام (ممدوح) وفضوله ، هو المعامل ، وذلك المصنع ، إذ أصبح لديه إحساس قوى ، بأنه هناك سر غير عادى ، يكمن وراء هذه المعامل ، التى لم تكن لتحتاج لكل هذه الوسائل الأمنية المشدَّدة ، وذلك العدد من الرجال المسلحين لحمايتها ، لو كان إنتاجها يقتصر فقط على مستحضرات التجميل ..

وكان اهتمامه الأساسى بذلك المعمل ، الذى ذكره الرجل وهو يحتضر .. المعمل رقم أربعة ..

ولكن من الغريب أنه ، عندما كان يمر بتلك المعامل من الخارج ، لم يجد من بين الأرقام الموضوعة على مدخل المعامل ما يحمل الرقم أربعة .. كانت هناك معامل بأرقام واحد ، واثنين ، وثلاثة ، أما رقم أربعة ، فلم يكن له وجود ..

وسأل (ممدوح) الفتاة :

ـ أظنك قد ذكرت أربعة معامل لإعداد مستحضرات التجميل ، ولكننى لا أرى أمامى سوى ثلاثة فقط فى ذلك المكان .

أجابته الفتاة ، قائلة :

- المعمل رقم (٤) يقع إلى جوار الفيلا ، التى يقيم فيها سنيور (ديلون) مباشرة .

(ممدوح) :

- ولماذا تم فصل هذا المعمل بالذات ، عن بقية المعامل الأخرى ، ليكون إلى جوار مقر إقامة (ديلون) ؟

(ماريا) :

- هذا المعمل بالذات غير مصرح سوى لأفراد قلائل بدخوله ، ويعتبر من الأسرار الشخصية لسنيور (ديلون) .

(ممدوح) :

- إلى هذا الحد .

(ماريا) :

- ربما كان يرغب فى مفاجأة الأسواق العالمية بمنتج جديد يحمل اسمه ، ليدخل به مجال المنافسة ، ولا يريد لأحد أن يكشف أسراره .

وصمتت برهة ، وهى تنظر إلى (ممدوح) بنظرة شك مباغتة ، ثم سألته قائلة :

- سنيور (كامبليون) ، ألا ترى أنك تكثر من الأسئلة ، كما لو كنت تحاول أن تستدرجنى لمعرفة شىء ما ؟

تدارك (ممدوح) الموقف سريعًا ، وهو يرسم ابتسامة جذابة على وجهه ، قائلًا :

- إننى بالفعل أسعى إلى استدراجك .

نظرت إليه الفتاة بحدة ، قائلة :

- ماذا تعنى ؟

(ممدوح) :

- أعنى أننى أتمنى لو تمكّنت من أن أجعلك تقعين فى حبى ..

قالت (ماريا) ، وفى صوتها رنّة شك :

- لن تخدعنى بمثل هذه الكلمات المعسولة .. لقد بدأت الآن أشعر بحقيقة المهمة ، التى جئت من أجلها إلى هنا .

أحس (ممدوح) بشىء من الاضطراب الداخلى ، ولكنه تعمَّد ألا يظهره ، فافتعل الدهشة وهو يقول :

- إنك بالفعل تعرفين حقيقة المهمة ، التى جئت من أجلها .. لقد جئت للرقابة على المنتجات ، التى صرح لكم بتصنيعها ، باسم المؤسسة التى أعمل بها ، والتأكد من مطابقتها لمواصفات (رينيه) العالمية .

(ماريا) :

- كلا .. هذا هو السبب الظاهرى ، والذى تحاول أن

تدعيه، أما الحقيقة فهى أنك جئت للتجسس على أسرار منتجات سنيور (ديلون)، لحساب المؤسسة التى تعمل بها.

تنفَّس (ممدوح) الصعداء، فشكّها فى أنه عميل لحساب مؤسسة تجميل، من أجل كشف أغوار هذه الصناعة، التى تربح الملايين، والتى تشهد منافسات قوية فى الأسواق العالمية، أهون بكثير من أن تشك فى أنه جاء لأداء مهمة قومية، وأنه عميل مصرى لإدارة العمليات الخاصة، على الرغم من أن هذا لا يقلّل من خطورة موقفه.

وأطلق (ممدوح) ضحكة قصيرة، قائلًا:

ـ يا له من تفكير أحمق!

قالت (ماريا) فى غضب:

ـ إياك أن تعتقد أنك ستنجح فى خداعى.. وإياك أن تتهمنى بالحمق.

قال (ممدوح) بلهجة جادة:

ـ وهل تظنين أن مؤسسة (رينيه) بحاجة إلى السعى وراء أسرار صناعة حديثة، ورجل ما يزال يبدأ خطواته الأولى فى هذا المجال؟

(ماريا):

ـ أتعنى أن مهمتك الوحيدة حقًّا هى الرقابة على المستحضرات، التى تحمل علامة (رينيه)؟

(ممدوح):

ـ ألا تصدقيننى؟

(ماريا):

ـ إننى أريد أن أصدقك.. أتعرف لماذا؟

(ممدوح):

ـ لماذا؟

(ماريا):

ـ لأننى أشعر أننى أميل إليك، ولا أحب أن تستغل عواطفى، بترديد تلك الكلمات الرقيقة الحانية على مسامعى؛ لكى تخدعنى.

نظر (ممدوح) إليها مليًا، وقد أحس بشىء من وخز الضمير، وهو يتساءل بينه وبين نفسه:

ـ تُرى أتكون هذه الفتاة بمثل هذه البراءة التى تدعيها حقًّا؟

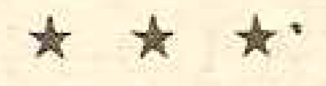
وإذا ما تبين أن (ديون) هذا لا علاقة له بـ (توماس).. ألا يكون قد ورّطها معه فى مشاعر عاطفية مخادعة؟!..

ولكن لا.. إنه لديه إحساس قوى بأن (ديلون) هو (توماس مالون).. الشبح المختفى..

وعلى فرض أنه الشخص الذى يبحث عنه .. ألا يمكن ألا تكون هذه الفتاة على دراية بحقيقة شخصيته ، وأن تكون بعيدة كل البعد عن مخططاته ، وألا تكون أكثر من سكرتيرة عادية ؟

على كل حال ، إنه مضطر لأداء دوره حتى النهاية ، وكل ما يهمه الآن هو تحقيق أمرين .. كشف حقيقة شخصية السيد (ديلون) ، وإذا ما تبين له أنه (الشبح) الذى يطارده ، فعليه أن يعرف الذى يدبِّره فى هذا المكان ، وفى ذلك المعمل السرى رقم (٤) على وجه التحديد ، وبعد ذلك سيكون له مطلق الحرية فى التصرف ، بناءً على اطلاعه على الأمرين ، ووفقًا للصلاحيات الممنوحة له ، من مدير إدارة العمليات الخاصة .

لو بقى على قيد الحياة ..





٩ ـ نذير الخطر ..

نجح (ممدوح) بالفعل فى اكتساب ثقة الفتاة ، واستحوذ على إعجابها ، إلى الحد الذى ظن معه أنه حتى لو كشفت حقيقة شخصيته ، فلن يمكنها أن تشى به بسهولة ..

وفى تلك الليلة ، اصطحبته (ماريا) إلى الفيلا ، التى يقيم فيها سنيور (ديلون) ؛ وكانت عبارة عن مبنى مكون من دورين ، غاية فى الأناقة والفخامة ، بما يتناسب وشخصية مليونير ..

وسار (ممدوح) معها فى دهليز طويل محاط بالأشجار الصناعية الصغيرة ، وبأحواض لأسماك الزينة ، وهمس لها قائلًا :

ـ من الواضح أن سنيور (ديلون) مغرم بالطبيعة ، فكل ما أراه هنا يدل على ذلك .

التفتت إليه ، وقد ارتسمت ابتسامة لطيفة على وجهها ، قائلة :

ـ هذا يدل على أنك شخص ذكى .

(ممدوح) :

ـ ولكن أليس من الغريب أن رجلاً مثله يهوى الطبيعة ،

ويعمد فى الوقت نفسه إلى تغيير الجمال الطبيعى ، بتلك المستحضرات التى يريد إنتاجها ؟!

(ماريا) :

ـ ليست كل السيدات والفتيات جميلات ، وهذه المستحضرات تضفى عليهن لمسة الجمال التى ينشدنها .

كانا قد وصلا إلى نهاية الدهليز ، عندما فُتِحَ أمامهما باب معدنى عريض ، وبرز خلفه ذلك الرجل الفارع القوام ، ذو الملامح الحادة والعضلات المفتولة (كارزو) ، الذى استقبلهما بنفس الوجه الصارم ، والتفت إلى الفتاة ، قائلًا بلهجة جافة :

ـ حسن .. يا (ماريا) .. يمكنك أن تعودى الآن .

قالت الفتاة متردِّدة :

ـ ولكن .. سنيور (ديلون) طلب منى ...

قاطعها دون أن يتخلى عن صرامته :

ـ سأصطحب سنيور (كامبليون) لمقابلة سنيور (ديلون) بنفسى .

امتثلت الفتاة ، ولم تجد بدًّا من العودة ، فى حين أشار (كارزو) إلى (ممدوح) ليتبعه ، حيث استقلا مصعدًا صغيرًا ، ارتقى بهما إلى الطابق العلوى ، وعندما فتح

(كارزو) باب الغرفة ، كان (ممدوح) فى شدة الفضول لكى يرى ذلك الرجل الغامض ، الذى يأخذ كل هذا الاهتمام من المخابرات المصرية .

كان الرجل بدينًا إلى حد ما ، وهذا يخالف الصورة ، التى رأى عليها (توماس مالون) قبل سفره ، إذ بدا فى الصورة أقل بدانة من ذلك الشخص ، الذى نهض لاستقباله ..

ولكنه لن يعول على ذلك ، فربما كان هذا راجعًا إلى تغيرات جسمانية طرأت عليه ، بفعل الرفاهية التى يحياها هنا ، أو ربما كان هذا متعمدًا فى ذاته ، لكى يبدو مخالفًا للصورة التى كان يبدو عليها من قبل ، وأستكمالًا لجراحة التجميل ، التى أجراها لتغيير ملامح وجهه .. أما من حيث طول القامة ومساحة الصدر ، فإنه يبدو قريبًا للغاية من المعلومات التى حصل عليها بشأنه ، ولو كان صحيحًا أن الشخص الماثل أمامه قد أجريت له عملية تجميل ، لتغيير ملامح وجهه ، فالجراح الذى أجرى هذه العملية يكون بارعًا للغاية ، إذ أن ملامح الوجه تبدو مختلفة تمامًا عن الصورة التى رآها ، وعلى الرغم من هذا ، فما يزال لديه إحساس قوى ، بأن (ديلون) ، هو نفسه (توماس مالون) ، أو (الرجل الشبح) ، ولكنه لن يعتمد على إحساسه وحده

بالطبع ، ولن يكتفى بالشواهد التى شاهدها هنا ، بل سيعمل على التأكدَ من صدق إحساسه هذا ..

صافحه (ديلون) وهو يرحب به بابتسامة ودود ، تختلف كثيرًا عن تلك الصرامة التى ترتسم على وجه (كارزو) ، وتلك النظرات المرتابة التى يراها فى عينيه ، وشد الرجل على يده ، قائلا :

ـ أهلاً بك فى جزيرة (منوركا) يا سنيور (كامبليون) .

(ممدوح) :

ـ يشرفنى أن ألتقى بك يا سنيور (ديلون) .

اصطحبه (ديلون) إلى مقعد وثير ، وجلس إلى جواره ، وأشار إلى (كارزو) لينصرف ، فأطاع الأمر فى الحال ، وقال (ديلون) ، وهو يشبك أصابع يديه ببعضها :

ـ أرجو أن تكون قد قضيت ليلة طيبة لدينا أمس .

(ممدوح) :

ـ فى الواقع كان يمكن أن تكون الليلة طيبة بالفعل ، لولا أن بعض الأشخاص هنا قد أفسدوها .

أطلق (ديلون) ضحكة قصيرة ، قبل أن يقول :

ـ تقصد بشأن إزعاجهم لك فى أثناء نومك .

(ممدوح) :

ـ لم يكن الأمر مجرد إزعاج ، بل بدا وكأنهم يوجهون إلىَّ اتهامًا ما .

(ديلون) :

ـ لقد أنَّبتهم على ذلك ، وأرجوا أن تتقبَّل أسفى يا عزيزى (كامبليون) ؛ فلدينا هنا قواعد أمن صارمة يتعين اتباعها .. أنت تعرف أن المنافسة لا ترحم ، والبعض يسعى للتجسس على الأسرار الصناعية الخاصة بالبعض الآخر ، وبالنسبة لى ، فإننى أنوى أن أكون رقم واحد فى الأسواق العالمية ، بالنسبة لصناعة مستحضرات التجميل ، وهذا ما جعلنى أفرض نطاقًا من السرية على العمل الذى يدور هنا ، خاصة وأننى لم أبدأ فى عرض منتجاتى فى أسواق العالم بعد .

ابتسم (ممدوح) ، قائلا :

ـ هذا تصريح خطير ، بالنسبة لشخص يمثل مؤسسة عالمية ، منافسة لك فى هذا المجال .. ألا تخشى أن أنقل هذا لمسيو (رينيه) ؟

(ديلون) :

ـ بل يمكنك أن تنقله لو أردت يا عزيزى (كامبليون) ، فالمنافسة مكفولة للجميع ، والأفضل هو الذى يربح فى

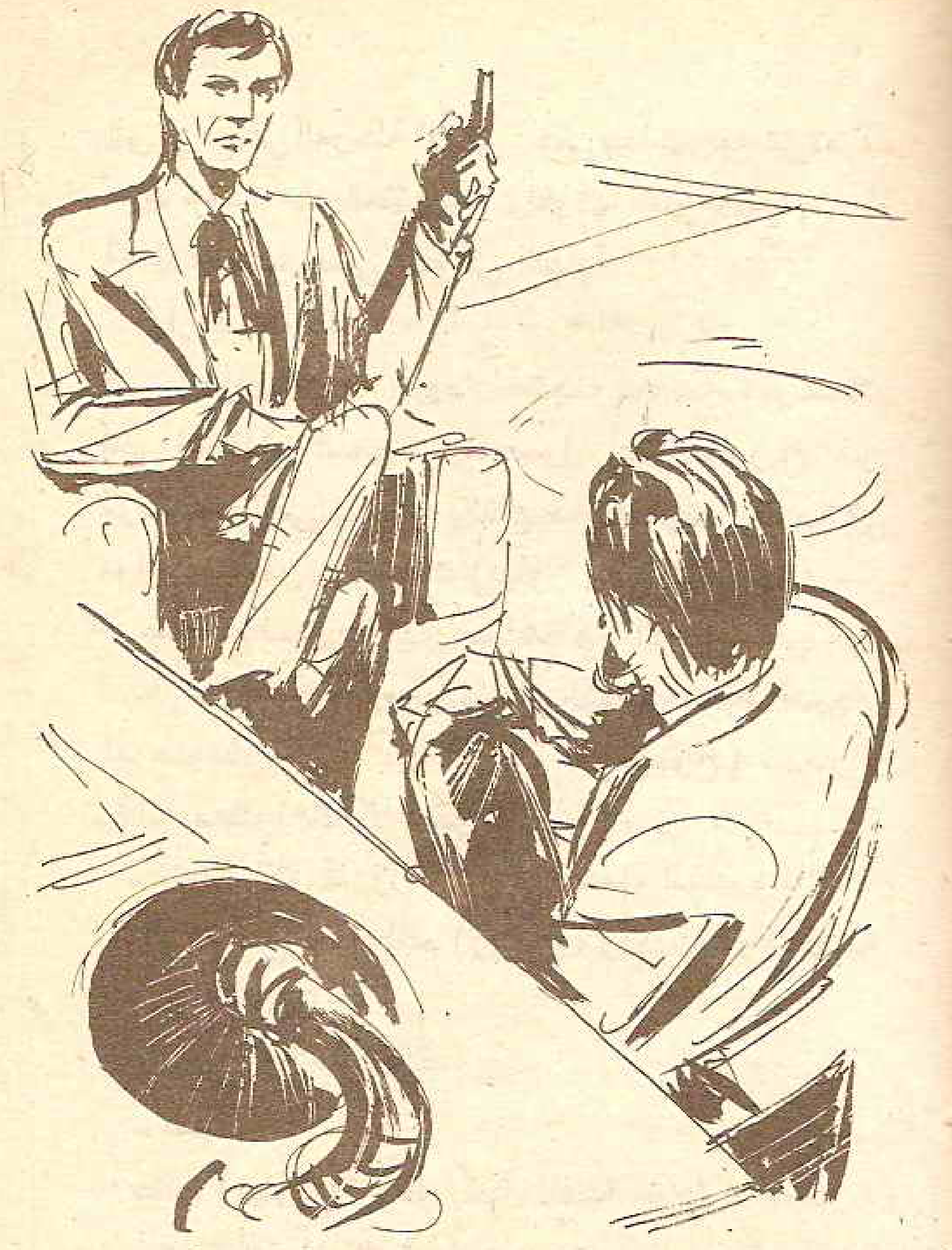
النهاية .. المهم أن تكون المنافسة شريفة ، وبعيدة كل البعد عن الوسائل الملتوية ، فأنا لا أكره شيئًا فى الدنيا قدر استخدام الحيل والألاعيب الملتوية ، للتفوق على المنافسين ، ومن بينها التجسس ..

ابتسم (ممدوح) لنفسه ، فلو كان هذا الشخص الجالس أمامه هو حقًا (توماس مالون) ، فإنه يكون أكبر منافق رآه فى حياته .. ولقد سأله (ممدوح) :

ـ ولكن إذا كنت تنوى حقًا طرح منتج جديد يحمل اسمك ، وتغزو به الأسواق العالمية ، فما حاجتك للتعامل مع مؤسستنا ، والحصول على تصريح لإنتاج بعض أدوات التجميل ، التى تحمل اسم (رينيه) ؟

(ديلون) :

ـ أعتقد أنك تعرف جيدًا إنه ليس هناك بد من ذلك ، فيما أن اسمى ما يزال مجهولاً فى الأسواق العالمية ، فإننى لن أجد الإقبال الكافى على منتجاتى فى البداية ؛ لذا كان يتعين علىّ أن أدعم نفسى باسم كبير ومعروف ، فى مجال صناعة أدوات التجميل ، مثل اسم (رينيه) لكى أكسب الثقة فى قدرتى على إنتاج مستحضرات بنفس المواصفات المطابقة لمستحضرات (رينيه) ، وفى نفس الوقت أبدأ فى ترويج كميات بسيطة من المنتج الذى يحمل اسمى ، دون النظر



ابتسم (ممدوح) لنفسه ، فلو كان هذا الشخص الجالس أمامه هو حقًا (توماس مالون) ، فإنه يكون أكبر منافق رآه فى حياته ..

إلىٰ الربح فى المرحلة الأولى ، حتى يبدأ الجميع فى تعرّف مدى جودة هذه المنتجات ، وتفوّقها على مثيلاتها ، ثم أعمل لحساب نفسى فقط فى النهاية .

وأردف ضاحكًا :

ـ ومن يدرى ؟.. فربما احتاجت مؤسسة كمؤسستكم إلى استخدام اسمى ، والحصول على تصريح من مؤسستى ، لكى يقوموا بإنتاج مستحضرات تقترب فى مواصفاتها من مواصفات (ديلون) فى المستقبل .

ضحك (ممدوح) لدى سماعه هذا التعليق ، فى حين استطرد (ديلون) ، وهو ينهض ليحضر علبة السيجار الموضوعة على مكتبه ، ويقدم لـ (ممدوح) سيجارًا ، رفضه معتذرًا بأنه لا يدخن .

ـ أعتقد أنك قد زرت اليوم المعمل الخاص بإعداد المنتجات التى تحمل اسم (رينيه) ، وأخذت فكرة مبدئية عن طريقة الإنتاج .

(ممدوح) :

ـ نعم ..

جلس (ديلون) ، وهو يشعل لنفسه سيجارا ، قائلا :

ـ هل رأيت أن كل شىء يسير على ما يرام ؟

(ممدوح) :

ـ مبدئيًا .. أستطيع أن أقول هذا .

(ديلون) :

ـ هل تنوى حقًا أن تأخذ الأمر بجدية ؟

سأله (ممدوح) ، وهو يرسم ملامح الدهشة على وجهه :

ـ ماذا تعنى بذلك يا مسيو (ديلون) ؟

(ديلون) :

ـ أعنى .. هل تنوى أن تقضى ساعات طويلة فى ذلك المعمل ، للفحص والتمحيص وكتابة التقارير ؟

(ممدوح) :

ـ أعتقد أن هذا هو ما جئت من أجله .

(ديلون) :

ـ إنك إذن من النوع الذى يخلص لعمله .

(ممدوح) :

ـ أعتقد أن هذا ما يتعين على كل شخص أن يفعله .

(ديلون) :

ـ ليس هذا ما يحدث دائمًا ، فقد كان هنا زميل لك ، منذ عدة أسابيع ، ولم يبد اهتمامًا حقيقيًا بالتأكد من أن

المواصفات مطابقة ، بل قضى أسبوعًا كاملاً فى ضيافتنا ، حصل خلاله على كل ما تشتهيه نفسه ، إلى جانب مبلغ لا بأس به ، ثم رحل ومعه تقريره .

رمقه (ممدوح) بنظرة ثاقبة ، وهو يقول :

ـ أهذه دعوة لتقديم رشوة لى يا سنيور (ديلون) ؟

(ديلون) :

ـ ولماذا تعتبرها كذلك ؟.. يمكن أن تقول إنها نوع من الترحيب بك .. ثم إننى لا أريد أن تتعب نفسك ، وأقدم لك دعوة للراحة والاستجمام .

(ممدوح) :

ـ راحتى هى تأديتى لعملى على الوجه الأكمل .

نظر إليه (ديلون) مليًا ، ثم أطلق ضحكة قصيرة ، أعقبها بقوله :

ـ أنت إذن من ذلك النوع من الأشخاص ، الذين يخلصون لعملهم .

وصمت قليلاً ، قبل أن يستطرد :

ـ إننى أحب ذلك النوع من الأشخاص .. ما رأيك لو عملت لحسابى ؟

نظر إليه (ممدوح) بدهشة ، قائلًا :

ـ وماذا عن مسيو (رينيه) ؟

هز (ديلون) كتفيه ، قائلًا :

ـ قدِّم له استقالتك .. سأعطيك ثلاثة أضعاف راتبك .. فقط عليك أن تعرف أن شعارنا هنا هو الإخلاص ، والجدية ، والسرية المطلقة .

(ممدوح) :

ـ سأفكر فى الأمر .

(ديلون) :

ـ الأمر لا يحتاج إلى تفكير .. فالعمل معى سيكون مربحًا أكثر من أى مكان آخر ، خاصة عندما يتضاعف نشاطنا ، ثم إنك رأيت المستوى المتقدم لمعاملنا الكيميائية .

(ممدوح) :

ـ فى الواقع .. إننى لم أر سوى المعمل الخاص بإنتاج منتجات (رينيه) ، وسوف أكون بحاجة إلى رؤية المعامل الأخرى ، قبل تحديد موقفى من العمل لديك .

(ديلون) :

ـ لا مانع من تعرّفك المعمل رقم (١) ، ورقم (٣) .. سأطلب من (كارزو) أن يسمح لك بزيارتهما .

قال (ممدوح) ، وهو يراقب قسمات وجهه :

ـ وماذا عن المعمل رقم (٤) ؟.. قيل لى إن لديك أربعة معامل لإعداد مستحضرات التجميل .

تبدَّلت قسماته ، وهو يقول :

ـ من الذى أخبرك بذلك ؟

(ممدوح) :

ـ لم يخبرنى بذلك أحد .. لقد لمحته وأنا قادم إليك .

(ديلون) :

ـ ولكن هذا المعمل لا يحمل أية أرقام .. إنه معمل للتجارب السرية .

(ممدوح) :

ـ الأمر ليس بحاجة لوضع أرقام .. إن لدى خبرة كيميائى بهذا النوع من المعامل ، والطريقة التى تصمم بها ، وبما أننى رأيت ثلاثة معامل من ذلك النوع أحدها من الداخل والآخرين من الخارج ، فى أثناء جولتى اليوم ، فلست بحاجة إلى قدر كبير من الذكاء ، لكى أخمن أنه المعمل الرابع .

(ديلون) :

ـ لا .. المعمل الرابع محظور يا عزيزى .. على الأقل فى الوقت الحالى .

(ممدوح) :

ـ هل هو المعمل الخاص بمنتجك الجديد ؟

(ديلون) :

ـ نعم .. وهناك عدد محدود من الأفراد فقط ، هم الذين يسمح لهم بدخول هذا المعمل .

نهض (ممدوح) ، قائلًا :

ـ على كل حال ، سأحدِّد موقفى من العمل لديك ، بعد رؤيتى للمعملين الآخرين .

(ديلون) :

ـ إنهما لا يقلَّان فى إمكانياتهما ، عن المعمل الذى رأيته .

وهنا أراد (ممدوح) أن يلجأ إلى الحيلة ، لكى يكشف تلك الحركة العصبية ، التى تُميز (توماس) ، وعما إذا كانت تنطبق على (ديلون) .. فعمل إلى استفزازه ، قائلًا :

ـ على الرغم مما تظنه ، من تقدم لمعملك ، فإن ما رأيته يدل على أنه متخلف للغاية ، بالنسبة لمعامل (رينيه) .

ارتسمت ملامح الغضب على وجه (ديلون) ، إلا أن (ممدوح) لم يلحظ تلك الحركة العصبية التلقائية ، التى تتمثَّل فى ارتعاش عينه اليسرى لدى انفعاله ، بل قال له

(ديلون)، وهو يغالب ملامح الغضب المرتسمة على وجهه :

ـ معاملى تضارع معامل (رينيه)، بل وتتفوق عليها، وما تقوله يخالف تمامًا الحقيقة .

(ممدوح) :

ـ أعتقد أنك أنت الذى لم تطلع على أحدث ما وصلت إليه وسائل التكنولوجيا، فى معامل (رينيه) للتجميل يا سنيور (ديلون)، وربما تفيدك زيارة قصيرة لتلك المعامل فى (باريس) .

(ديلون) :

ـ لقد زرتها بالفعل، كما زرت غيرها من معامل التجميل فى بلاد العالم، وأعرف أن معاملى تتفوّق على البعض منها .

هز (ممدوح) كتفيه باستخفاف، قائلًا :

ـ ربّما .. هذا رأيك .

ضرب (ديلون) على حافة مكتبه، وهو يقول :

ـ ويجب أن يكون هذا هو رأيك أيضًا، إذا أردت أن تعمل لدى، فأنا لن أدفع راتبًا كبيرًا لكيميائى حديث، يستخف بمعاملى .

كان (ديلون) يتحدث بانفعال، مما دفع (كارزو) لأن يقتحم الغرفة، وهو يضع يده على مسدسه أسفل سترته، وقد بدا منزعجًا، وهو يقول :

ـ سنيور (ديلون) .. هل حدث شىء ؟

قال (ديلون)، وهو يشير بإصبعه نحو (ممدوح) فى عصبية :

ـ هذا الرجل يتهم معاملنا بأنها متخلفة عن المستوى العالمى .

وهنا لاحظ (ممدوح) ارتعاش جفن عينه اليسرى فى حركة سريعة، لم تستغرق أكثر من ثانية، ولكنها كانت كفيلة بأن تكشف له عن شخصية (توماس)، التى يحرص (ديلون) على إخفائها، فقال محاولًا تهدئة ثائرته، بعد أن حصل على الدليل الذى أراده :

ـ آسف يا سنيور (ديلون) .. ربّما أكون مخطئًا فى تقديرى على كل حال، بالنسبة لمستوى المستحضرات، فإنها لا تقل بالطبع عن إنتاج مستوى (رينيه)، وإن كنت فى غاية الشوق لمعرفة الإضافات الجديدة، التى ستضيفونها لتلك المستحضرات، التى تحمل اسمكم .

قال (ديلون)، وقد هدأت ثائرته :

ـ ستعرف كل شىء فى حينه .

ونظر إلى (كارزو) ، قائلًا :

ـ دع (ماريا) تصحب سنيور (كامبليون) إلى حجرته .

(كارزو) :

ـ أمرك يا سنيور .

وقال له (ديلون) قبل أن يصل إلى الباب بصحبة (ممدوح) :

ـ وأريد منك أن تعود إلىَّ سريعًا .

(كارزو) :

ـ أمرك يا سنيور .

اصطحب (كارزو) (ممدوح) إلى الخارج ، حيث كانت (ماريا) واقفة خارج مبنى الفيلا ، فقال لها :

ـ اصحبى السنيور (كامبليون) إلى حجرته .

ولكن بعد انصرافه ، قال لها (ممدوح) محتجًا :

ـ ما هذا ؟ هل أنا فى مدرسة داخلية ؟ اصحبى (كامبليون) فى جولة قصيرة .. اصحبى (كامبليون) لمقابلة سنيور (ديلون) .. اصحبى (كامبليون) إلى حجرته .. أريد أن أنعم بحريتى فى هذا المكان قليلًا .

ـ قالت (ماريا) مبتسمة :

ـ هل تضايقك صحبتى ؟

(ممدوح) :

ـ كلا بالطبع .. ليس هذا ما أقصده .. ولكننى أكره استخدام صيغة الأمر ، وتقييد الحرية على هذا النحو .. أريد أن أختار الوقت الذى أذهب فيه إلى حجرتى ، والأماكن التى أرغب فى الذهاب إليها هنا .

(ماريا) :

ـ مع الأسف .. كل شىء هنا يخضع للتعليمات .

(ممدوح) :

ـ لا أعتقد أنك من القسوة ، بحيث تخنقيننى مثلهم بتلك التعليمات .. ما رأيك لو سبقتنى إلى كوخ الزهور ، الذى زرناه هذا الصباح .. وسوف ألحق بك هناك ؟.

قالت متردِّدة :

ـ ولكن ...

(ممدوح) :

ـ أرجوك لا ترفضى يا (ماريا) .. إننى أرغب فى إعداد مفاجأة لك .

سألته (ماريا) بدهشة ، قائلة :

ـ مفاجأة .. أية مفاجأة ؟

(ممدوح) :

ـ وكيف ستكون مفاجأة إذن ، لو أطلعتك عليها ؟..

اذهبى الآن ، وسألحق بك .

وبعد قليل من التردد ، وافقته (ماريا) على طلبه ، وتحرك هو سريعًا ، ليقبع فى مكان يطل على المعمل رقم (٤) ، وباستخدام آلة تصوير دقيقة ، فى حجم القداحة ، أخذ يلتقط صورًا للمعمل من عدة زوايا مختلفة ، وفى أثناء ذلك ، كان (كارزو) قد عاد إلى (ديلون) ، أو (توماس مالون) ، بعد أن كشف (ممدوح) حقيقة شخصيته ، وقال (توماس) لـ (كارزو) :

ـ إننى أشك فى هذا الرجل .

(كارزو) :

ـ وأنا أشاركك الرأى يا سيِّدى ، فهو يبدو أذكى مما يجب .

(توماس) :

ـ ما قاله بشأن المعمل رقم (٤) يبعث على الشك بالفعل ، كما أن حجته التى ساقها فى هذا الشأن تبدو غير مقنعة .

(كارزو) :

ـ أتشك فى أن يكون عميلًا لمؤسسة (رينيه) .

(توماس) :

ـ أو عميلًا للمباحث الأسبانية ، كزميله السابق ..

اطلب من (ماريا) أن تعمل على استدراجه ، واطلب من مندوبنا فى (باريس) أن يجمع التحريات عنه ، وعن عمله فى مؤسسة (رينيه) .

(كارزو) :

ـ من الخطأ إدخال (ماريا) فى هذا الأمر ، فقد لاحظت أنها معجبة به ، أما عن التحريات ، فقد طلبت بالفعل من مندوبنا فى (باريس) أن يجمعها ، وسوف يصلنى الرد صباح الغد .

(توماس) :

ـ حسن .. واعمل على التخلص من الفتاة ، فلست أحب أولئك الذين ينساقون وراء عواطفهم ، ويجعلونها تسبق ولاءهم لى .. ولكن لا تقدم على أى شىء قبل أن نتأكَّد من حقيقة الرجل .

(كارزو) :

ـ أمرك يا سيدى .. سأنتظر حتى نتأكَّد .. ثم ...

ولم يكن بحاجة لإكمال عبارته .

* * *

١٠ ـ اختبار الشيطان ..

دخل (ممدوح) إلى الحمام الملحق بغرفته ، ليفحص الصور التى التقطها بآلة التصوير ، بعيدًا عن المرآة العاكسة التى تراقبه ، وقرر أن ينفذ إلى المعمل عن طريق فتحة التهوية ، إذ لاحظ عدم وجود حراسة بالقرب منها ..

كان عليه أن يعمل فى الظلام ، ولكن المشكلة هى كيف يتمكّن من مغادرة غرفته ، والاقتراب من المعمل ، وسط هذه الحراسة المشدّدة ..

هل يلجأ إلى الشرفة مرة أخرى ؟.. لن يكون الأمر مأمونًا فى كل مرة .. إذن فعليه أن يبحث عن وسيلة أخرى ، تؤمّن له القدرة على الوصول إلى المعمل رقم (٤) ..

وفى أثناء ذلك كان (كارزو) يدلف إلى حجرة (توماس) ، حيث كان الأخير يداعب هرته المدلّلة ، وهو جالس فى استرخاء ، وقال له (كارزو) :

ـ لقد وصلتنى التحريات التى طلبتها ، بشأن الرجل الذى يعمل لحساب مؤسسة (رينيه) .

(توماس) :

ـ وهل لفت نظرك شىء ؟

(كارزو) :

ـ إنه يعمل لحساب هذه المؤسسة بالفعل ، وموفد من قبلها ، للتأكّد من أن مستحضرات التجميل ، التى تنتج هنا ، مطابقة لمواصفات (رينيه) العالمية .

(توماس) :

ـ إذن يمكننا أن ننفى عنه تهمة العمل لحساب المباحث الأسبانية .

(كارزو) :

ـ إن ما لفت نظرى هو أن ذلك الشخص قد عين حديثًا فى المؤسسة .. تستطيع أن تقول : قبل وصوله إلينا مباشرة .

قال له (توماس) ، وقد بدأ الاهتمام يظهر على ملامحه :

ـ أمر غريب بالفعل ؛ فكيف يرسل (رينيه) رجلًا يعمل فى التفتيش على جودة المنتجات ، وهو معين لديه حديثًا ؟! إن عمًلا كهذا يحتاج إلى خبرة طويلة ، ودراية كافية بطريقة الإنتاج ، التى تتم فى هذه المعامل .

(كارزو) :

ـ هناك أمر آخر .. لقد عرفت أن هذا الرجل قد عُيِّن

فى المؤسسة دون أية مسوغات للتعيين ، وبناءً على أوامر شخصية من (رينيه) نفسه .

(توماس) :

ـ دعه يدخل المعمل اليوم .. أريده أن يتورط فى مناقشة فنية ، مع عدد من الكيميائيين العاملين لدينا ، تتناول بعض التفاصيل الفنية الدقيقة للعمل ، لكى نتأكَّد من خبراته الحقيقية ككيميائى .

سأله (كارزو) :

ـ وبعد ذلك .

(توماس) :

ـ وبعد ذلك ، سأخبرك ماذا تفعل معه .. أريد أولاً أن أتأكَّد من قدرات هذا الرجل ، الذى أرسله (رينيه) لنا ، بعد يومين فقط من تعيينه .

كان (ممدوح) مستغرقًا فى التفكير ، فى الطريقة التى يتمكن بها من دخول المعمل الرابع ؛ لاستكشاف ما فيه ، عندما سمع طرقات خفيفة ومتوالية على باب حجرته ، وعندما فتح الباب ، فوجئ بـ (ماريا) تدلف إلى الحجرة سريعًا وهى مضطربة ، فسألها وهو ينظر إلى وجهها بقلق ، قائلًا :

ـ (ماريا) .. ما الذى أتى بك فى هذه الساعة ؟ ولماذا تبدين مضطربة على هذا النحو ؟

قالت ، وفى عينيها نظرة انزعاج حقيقى :

ـ إنهم ينوون بك شرًّا .

سألها قائلًا :

ـ ماذا تقصدين ؟ ومن هم هؤلاء ؟

(ماريا) :

ـ (توماس) . و (كارزو) .. قل لى الحقيقة .. لماذا جئت إلى هنا ؟

(ممدوح) :

ـ وهل أنا بحاجة لتأكيد العمل الذى جئت من أجله ، فى كل مرة ؟

(ماريا) :

ـ أرجوك .. لا تُضع الوقت .. إنهم يرتابون فيك ، ويدبرون لك أمرًا ما .. لقد سمعتهم مصادفة ، وهم يتناقشون فى هذا الأمر .. ليتك تثق بى ، ولا تظن أنها محاولة منى لكشف حقيقة أمرك .. كل ما أرجوه منك ، هو إنه إذا كنت قد جئت إلى هنا للتجسس على السنيور (ديلون) ، فعليك أن تنتهز الفرصة الآن وتهرب ، ومن

ناحيتى فسوف أسهل لك ذلك ، وإلا فستلقى مصير زميلك السابق ، الذى لقى حتفه على أيديهم .

وفى أثناء ذلك ، كان (كارزو) جالسًا أمام المرآة العاكسة ، فى غرفة الفتاة ، يراقب حديثها مع (ممدوح) ، وإلى جواره اثنان من أعوانه ، فى حين سألها (ممدوح) :

ـ أهم أشرار إلى هذا الحد ؟

(ماريا) :

ـ إنهم لا يرحمون ، فيما يتعلَّق بأسرارهم .

(ممدوح) :

ـ من هم على وجه التحديد .

(ماريا) :

ـ (ديلون) وأعوانه .

(ممدوح) :

ـ ولماذا قبلت العمل معهم إذن ، ما دمت تعرفين أنهم أشرار على هذا النحو ؟

(ماريا) :

ـ لم أكن أعرف .

(ممدوح) :

ـ إذن لماذا لا تنجين بنفسك ، ما دمت قد عرفت حقيقتهم ؟ ولماذا لا تبلغين الشرطة بما يدور هنا ؟

(ماريا) :

ـ لأننى أصبحت متورِّطة معهم ، و (ديلون) وأعوانه لا يرحمون من يخونهم .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـ ولماذا تخاطرين إذن بمساعدتى ، على الرغم من خوفك منهم ؟

قالت (ماريا) ، وقد بدا عليها الارتباك :

ـ لأننى .. لأننى .. بدأت أشعر بميل إليك .

قال (ممدوح) ، وهو يضع راحته على وجنتيها :

ـ أنت فتاة طيبة يا (ماريا) .. لقد شعرت بهذا منذ رأيتك .. كل ما أريده منك هو أن تكونى مطمئنة ، فكل شىء سيكون على ما يرام ..

وتطلَّعت إليه الفتاة ، وهى حائرة متردِّدة ، ثم ما لبثت أن غادرت الغرفة ، قائلة :

ـ أرجو ذلك .

وعادت (ماريا) إلى غرفتها ، حيث كان (كارزو) وأعوانه فى انتظارها ، وسألها (كارزو) ، قائلًا :

ـ لماذا لم تبذلى معه المزيد من الجهد ؛ للكشف عن حقيقته ؟

قالت باستياء :

ـ وماذا كنت أفعل أكثر من ذلك ؟.. لقد رأيت بنفسك كل شىء .

(كارزو) :

ـ هذا الشخص يبدو حريصًا للغاية .

(ماريا) :

ـ ولماذا لا تكون شكوككم فيه فى غير محلها ؟

بدا (كارزو) غير مكترث بما تقول ، حيث أشار إلى أعوانه ؛ لكى يسبقوه إلى الخارج ، ثم التفت إليها ، قائلًا :

ـ على كل حال ، لقد أديت المطلوب منك ، وأنقذت نفسك مؤقتًا من الموت ، فسنيور (توماس) كان غاضبًا منك ؛ لاعتقاده بأنك تبدين اهتمامًا أكثر مما يجب بذلك الرجل ، وهذا قد يعنى أن ولاءك له من الممكن أن يكون أقل مما هو مفروض .

ومرّر يده على عنقها ، وهو يحدجها بنظرة ثاقبة ، قائلًا :

ـ ولكنى أقنعته بأنك لن تخونى ثقتنا فيك .. أليس كذلك ؟

قالت ، وهى تحاول أن تخفى إحساسها بالكراهية والنفور منه :

ـ أعتقد أننى قدمت لك منذ لحظات الدليل على ذلك ، ونفذت ما طلبته منى .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة صفراء ، وهو يقول :

ـ ألم يكن ذلك بدافع الخوف ؟

استطرد قائلًا ، وقد أبعد يده عن عنقها :

ـ على كل حال .. بدافع الخوف ، أم بدافع الولاء .. المهم أن تعرفى أن حياتك ستكون منذ الآن رهنًا بحرصك على صداقتى .. هذا هو الذى سيضمن لك الاحتفاظ بهذا العنق الجميل .

وأشار لها بإصبعه ، وهو يستعد لمغادرة الغرفة ، وقد بدت فى عينيه نظرة خبيثة :

ـ وهذا ما سوف نتفق عليه فيما بعد .

وما أن غادر الغرفة ، حتى أغلقت الباب وراءه بعنف ، وهى تقول بغضب :

ـ يا لك من وغد حقير !

وسرعان ما تبدلت ملامحها إلى الخوف والقلق ، وهى تهمس لنفسها ، قائلة :

ـ ولكن ترى ما الذى سيفعلونه بذلك المسكين ؟

حاولت أن تطمئن نفسها ، قائلة :

- على كل حال ، إنه لم يصرح لى بأى شىء يدينه .. لقد كنت أخشى أن يعترف لى بأى شىء ، حتى لو كان حقيقيًا عن نفسه ، فهذا معناه القضاء عليه فورًا .

بدت ملامح التردّد فى عينيها ، وهى تستطرد ، قائلة :

- ولكنه بدا حريصًا على إخفاء أمر ما ، و (كارزو) لن يتراجع عن استخدام أية وسيلة لكشف حقيقة هذا الأمر ..

هل يتعيّن علىّ أن أحذره ، وأكشف له حقيقة الدور الذى لعبته معه ، بناءً على أوامرهم ؟.. ولكن هذا يعنى هلاكى .. خاصة وأنهم يضعوننى نصب أعينهم الآن ..

لا .. مستحيل !

★ ★ ★

أصبح موقف (ممدوح) دقيقًا ، خاصة بعد أن علم أن شكوكهم فيه قد ازدادت ، فهذا سيصعب من تحركاته ، وأيًا كان الأمر بالنسبة للفتاة ، سواء أكانت تحاول بما قالته أن تستدرجه لكى يكشف عن نفسه ، أو كان تحذيرها جديًا ، فمن الواضح أنهم لا يثقون به ، و (توماس) ينوى ألا يجعل الأمر سهلًا بالنسبة له ..

وبينما كان يعيد حساباته ، سمع عدة طرقات على باب حجرته مرة أخرى ، فنهض ليفتحه ، وإذا به يجد نفسه أمام (توماس) ، الذى ابتسم له قائلًا :

- أرجو ألا أكون قد أزعجتك .

قال له (ممدوح) ، وهو يفسح له الطريق :

- أبدًا .. أبدًا .. تفضل .

دخل (توماس) إلى الحجرة وهو يتأملها ، قائلًا :

- لقد فكّرت أن أمر عليك ، لأطمئن على راحتك ، وأتناول معك شرابًا .

(ممدوح) :

- أشكرك يا سنيور (ديلون) .. هذا كرم بالغ من جانبك .

ودخل أحد الأشخاص إلى الحجرة ، حاملًا صينية عليها كوبان من شراب عصير الفواكه ، حيث قدم أحدهما إلى (توماس) ، والآخر إلى (ممدوح) ، وتناول (توماس) كوبه ، وهو يجلس على أحد المقاعد ، واضعًا ساقًا على ساق ، فى حين انتابت (ممدوح) الهواجس ، وهو ينظر إلى الكوب الذى يحمله فى يده ؛ فالزيارة تبدو غير عادية ، وقد لاحظ أن الشخص الذى دخل ، تعمد أن يقدم كوب العصير إلى (توماس) أوّلًا ، قبل أن يقدم إليه الكوب الآخر ، مما جعله يشك فى أنه قد دس له شيئًا فى هذا الكوب ، وأخذ ينظر إلى الكوب فى قلق ، وهو يتساءل قائلًا :

ـ ترى هل دسّ له فى ذلك الشراب سُمًّا ، أم مخدرًا ؟..

لو كانوا قد كشفوا حقيقته ، فلدى (توماس) عشرات الوسائل الأخرى للتخلص منه ، دون استخدام السم ، والحضور للتأكد من موته بنفسه ، ثم إنه كان يتعين عليه أن يطرح عليه بعض الأسئلة أوّلا ، قبل أن يقرر التخلص منه ، وربما أن هذا هو ما سيفعله الآن ، أو أن الأمر سيكون مؤجّلًا لما بعد تخديره .. لو كان هذا الشراب يحتوى على مخدّر .

سأله (توماس) ، وقد لاحظ تردده :

ـ لماذا لا تجلس ؟

جلس (ممدوح) فى مواجهته ، والكوب فى يده ، فى حين عاد (توماس) يقول ، وهو يحدجه بنظرة ثاقبة :

ـ هل فكرت فيما قلته لك ، بشأن العمل لدى ؟

وفى الحقيقة ، كان (ممدوح) مشتت الفكر ، بسبب هذا الكوب الذى يحمله فى يده ، فقال له على الفور :

ـ أعتقد أنه لا مانع لدى من العمل هنا ؟

ابتسم (توماس) ، قائلًا :

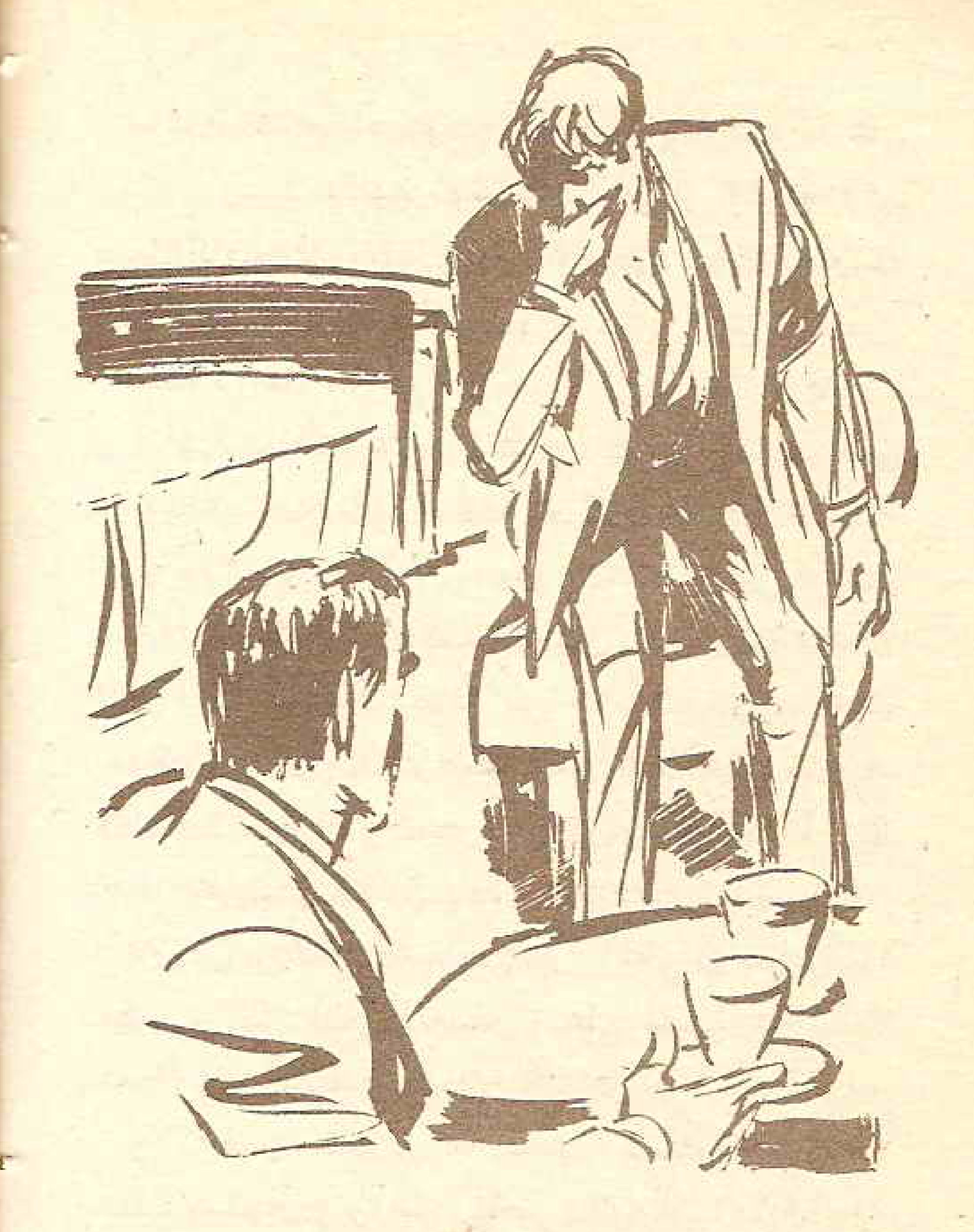
ـ عظيم .. والآن لنتفق على الترتيبات ، بشأن عملك معى .

وفجأة تظاهر (ممدوح) بأنه يسعل بشدة ، وأنه على وشك أن يبصق ، فنهض مستأذنًا ليذهب إلى الحمام ، وهو يحمل الكوب فى يده ، ولكن (توماس) أمسك بالكوب ، قائلًا :

ـ اتركه هنا .. حتى تعود .

وهكذا ضاعت على (ممدوح) فرصة التخلص من محتوياته ، ولكن فى الحقيقة لم تكن هذه هى الفرصة الأخيرة بالنسبة له ، إذ أن (ممدوح) كعادته ، كان قد عمل حسابًا لكافة المواقف ، التى يمكن أن يتعرض لها من هذا القبيل ؛ لذا فبمجرّد دخوله إلى الحمام ، مد يده أسفل الحوض ، وتناول لفافة صغيرة من البلاستيك ، كان قد أخفاها حينما جاء إلى الحجرة ، بعد أن وضع فوقها شريطًا لاصقًا على نحو لا يتيح لأحد أن يراها .

كان من الواضح أنه هناك إصرارًا على أن يتناول هذا العصير ، الذى أصر (توماس) على أن يشربه أمامه بنفسه ، وأن أية محاولة منه للتخلص من هذا الشراب ستبوء بالفشل ، كما أن أية محاولة للمقاومة ستكشفه تمامًا ، وستجعل (توماس) يقضى عليه فورًا ؛ لذا فأمله الوحيد الآن ، للتخلص من هذا المأزق ، هو هذه اللفافة ،



وفجأة تظاهر (ممدوح) بأنه يسعل بشدة ، وأنه على وشك أن يصق ، فنهض مستأذنًا ليذهب إلى الحمام ..

التى كانت تحتوى على عدة كبسولات صغيرة ، سلمتها له (الإدارة الفنية) بالمكتب رقم (١٩) ، لكى يحملها معه دائمًا ، فى كل المهام التى يكلف إياها .

كانت اللفافة البلاستيكية تحتوى على ستة كبسولات ، اثنتان للاختبار ، وأربع لإبطال مفعول أية سموم أو مخدرات ، يمكن أن تكون قد دست له فى الطعام ، أو فى الشراب ، لو انتابه الشك ، تجاه أى طعام أو شراب يقدم له ..

وكانت الكبسولتان الصفراوان هما كبسولتا الاختبار ، فيكفى أن يضع أية واحدة منهما فى أى شراب أو طعام يقدم له ، لكى يتبين حقيقة الشىء الذى دُس له ، فإما أن يبقى الشراب محتفظًا بلونه الطّبيعى دون أن يتغير ، وهو ما يعنى أنه خالٍ من أية إضافات ، يمكن أن يخشاها ، وإما أن تظهر له فوق سطح الشراب بقعة زرقاء صغيرة ، وهذا يعنى أن الشراب مسموم ، وأن عليه أن يتناول إحدى الكبسولات الأربع الأخرى ، التى تحمل اللون الأزرق ، لكى تكون بمثابة ترياق ، يقيه تأثير هذا السم ، أيًا كان نوعه ، أو تظهر بقعة بنية صغيرة ، وهذا يعنى أن الشّراب يحتوى على مخدر ، ويكون عليه أن يتناول أيضًا إحدى الكبسولات

الأخرى، التى تحمل اللون البنى؛ لكى تمنع تأثير المخدر على جهازه العصبى ..

وتناول (ممدوح) الكبسولات الثلاث.. الصفراء والزرقاء والبنية، واحتفظ بها فى راحة يده، ثم أعاد الكبسولات الثلاث الأخرى الاحتياطية إلى مكانها أسفل الحوض، بعد أن ثبتها بالشريط اللاصق، وعاد إلى الحجرة، حيث سأله (توماس):

- أرجو أن تكون قد تحسَّنت الآن.

قال (ممدوح)، وهو يعود ليجلس:

- نعم.. إننى الآن أفضل بكثير.

ومد يده لتناول الكوب من فوق المائدة، قائلاً وهو يتعمد أن يشغله بالحديث:

- كنا نتحدث بشأن ترتيبات عملى هنا.. متى تحب أن أبدأ العمل لديك؟

وقبل أن ينتهى من عبارته، كان قد أسقط كبسولة الاختبار فى الكوب.

قال (توماس):

- كما تحب.. معملى يرحب بك فى أى وقت ترتضيه.

(ممدوح):

- أعتقد أنه يتعين علىَّ أن أنهى تقريرى هنا أوَّلاً؛

لأسلمه إلى المؤسسة التى أعمل بها، وبعد ذلك أتقدم باستقالتى، وأنهى ارتباطاتى فى (باريس)، ثم أحضر لتسلُّم العمل هنا.

نظر (ممدوح) إلى الكوب الذى يحمله فى يده، فرأى بقعة بنية صغيرة تطفو على سطحه، وقال لنفسه:

- إذن فهذا ما يريدونه.. أن يخدرونى.. حسن.. سأجعله يظن أنه نجح فى ذلك.

ورفع يده بالكوب إلى فمه ليشربه دفعة واحدة، وعينا (توماس) تتابعانه بدقة، وتعمَّد (ممدوح) أن يترك بقايا الشراب عالقة بشفتيه وذقنه، حيث تناول منديله، وهو يتظاهر بمسح شفتيه، ولكنه فى الحقيقة كان يتعمد أن يجد لنفسه الوسيلة، لكى يبتلع الكبسولة المخصَّصة لإبطال مفعول المخدِّر، والتى كان قد أخفاها بين أصابعه، ولقد تناولها بين شفتيه، وهو يستخدم منديله، ليبتلعها فى الحال، وبدت ملامح السرور والارتياح على وجه (توماس)، وهو يرى (ممدوح) ينتهى من شرابه، ثم ما لبث أن قال:

- أرجو ألا تحتاج منك هذه الإجراءات إلى وقت طويل؛ فأنا بحاجة إلى استثمار خبراتك وجهودك هنا.

(ممدوح) :

ـ تأكد أننى سأبدأ فى ترتيب الأمر ، بمجرد الانتهاء من إعداد تقريرى المعملى .

ابتسم (توماس) ، قائلًا :

ـ أمازلت مصرًا على أن تأخذ الأمر بمثل هذه الجدية ، بشأن إعداد التقرير ؟

كان (ممدوح) قد نجح فى التخلص من الكبسولة الأخرى ، المخصصة لإبطال مفعول السموم ، بإلقائها أسفل مقعده ، دون أن يتيح لأحد ملاحظة ذلك ، إذ أنه قدرَّ أنهم لابد سيعمدون إلى تفتيشه ، بعد تظاهره بالغياب عن الوعى ، تحت تأثير المخدر الذى دسوه ... وكان عليه ألا يجعلهم يرونها معه ..

ورد عليه (ممدوح) ، قائلًا :

ـ إن التقرير لا علاقة له بعملى لديك يا سنيور (ديلون) ، فأنا ملتزم بأداء عملى على الوجه الأكمل ، مادمت أعمل لحساب مسيو (رينيه) ، أما بعد ذلك فيمكنك أن تطلب منى ما تشاء ، مادمت سأعمل لحسابك ، وأعتقد أننا متفقان على ذلك .

ابتسم (توماس) ، قائلًا :

ـ وهذا ما يعجبنى فيك .

(ممدوح) :

ـ ثم إننى ، من خلال فحصى لمواصفات الإنتاج ، لا أرى حتى الآن ما يستدعى العبث فى التقرير ؛ فالتقديرات المعملية الأولى لصالحك ، كما أننى ...

أخذ يردِّد الكلمة الأخيرة ، وهو يتظاهر بأنه يترنح ، وبأن رأسه ثقيل ، ثم ما لبث أن أغمض عينيه ، ثم تهاوى فوق مقعده ، مؤديًا دور الرجل الذى فقد الوعى ..

ولقد أدى دوره فى براعة .

★ ★ ★



١١ ـ غرفة الاعتراف ..

انتزع (كارزو) الشارب واللحية ، اللذين استخدمهما (ممدوح) للتنكر فى شخصية (كامبليون) ، ليظهرهم أمام (توماس) ، قائلًا :

ـ شارب ولحية مستعارة .. هذا يؤكد أن شكوكنا كانت فى محلها .. وأن هذا الرجل جاء لهدف آخر ، بخلاف مراقبة مواصفات الإنتاج لأحد مستحضرات التجميل .. إنه جاسوس .

قال (توماس) بهدوء ، وهو ينظر إلى (ممدوح) ، الذى ما يزال يتظاهر بأنه واقع تحت تأثير المخدر :

ـ ولكن جاسوس لحساب أية جهة ؟.. هذا هو السؤال .

قال (كارزو) ، وهو يثبت كاتمًا للصوت فى مسدسه :

ـ وما الذى يهمنا فى ذلك ، مادمنا سنتخلص منه على أية حال .

(توماس) :

ـ يالك من أحمق دموى !.. رصاصتك دائمًا تسبق تفكيرك ..

إذا كان الرجل يتبع مؤسسة (رينيه) ، وكان الهدف من

إرساله إلى هنا هو جمع معلومات عن المنتج الجديد ، الذى ننتجه ، والوسائل التى نستخدمها فى تحضيره ، فالأمر لن ينطوى على أية أضرار ؛ لأننا لن نتيح له إمكانية لذلك ، طوال فترة وجوده هنا ، وعلينا أن نكتفى بأن نجعله يعلن فشله لمن أرسلوه ، بعد أن تنتهى مدة إعداد ذلك التقرير المزعوم .

قال (كارزو) ، وهو يقلب المسدس فى يده :

ـ وإذا كان من المباحث الأسبانية ؟

(توماس) :

ـ يكفينا موت واحد منهم .. سنرتب أية تمثيلية ، لكى نخبره أننا كشفنا أنه لا يعمل لحساب (رينيه) ، ثم نطرده من هنا .. بعض الأمور يمكن معالجتها بوسائل أخرى غير القتل ، وإلا لفتنا الأنظار إلى عملنا الحقيقى ، الذى جئنا إلى هنا من أجله .

كان هناك شخص آخر قد تسلل إلى الغرفة خلسة ، وأخذ يحدق فى وجه (ممدوح) ، من وراء ظهر (توماس) ، ثم لم يلبث أن عقد ذراعيه أمام صدره ، قائلًا بصوت عال :

ـ ولكن هذا الرجل لا يعمل لحساب (رينيه) ، ولا لحساب المباحث الأسبانية .

التفت إليه (توماس) ، قائلًا بحدة :

ـ ماذا تعنى ؟ هل تعرفه ؟

قال له الرجل ، وهو يقترب من الأريكة التى تمدَّد عليها (ممدوح) ، ليمعن النظر فى وجهه :

ـ تمام المعرفة .. إنه (ممدوح عبد الوهاب) عميل معروف لواحدة من أقوى أجهزة الأمن القومى المصرى ، والمعروفة باسم إدارة العمليات الخاصة ، أو المكتب رقم (١٩) .

صاح (توماس) فى دهشة :

ـ ماذا تقول ؟.. هل يتبع ذلك الرجل إدارة العمليات الخاصة المصرية ؟

أجابه الرجل ، قائلًا :

ـ نعم .. لقد حضرت منذ قليل ، وعندما أخبرونى أنك هنا جئت إليك ، وما أن وقع نظرى على ذلك الرجل ، حتى تأكدت من أنه هو (ممدوح عبد الوهاب) ، الرجل الذى تسبَّب فى إفساد الكثير من عملياتنا الهامة من قبل ، أو العدو رقم (١) للمخابرات الأسترتانية .

قال (توماس) ، وقد بدا متوترًا :

ـ ولكن كيف تمكَّن من الوصول إلىَّ ؟

قال الرجل :

ـ يبدو أن أجهزة الأمن المصرية ، كشفت أمرك .

(توماس) :

ـ مستحيل !.. لقد تم تدبير الأمر بعناية بالغة .

قال الرجل :

ـ ماداموا قد أرسلوا إليك هذا الرجل ، فهذا يعنى أنهم كشفوا أمرك ، وهذا يعنى إلغاء العملية بأسرها .

قال له (توماس) بانزعاج واضح :

ـ (ليفون) .. كيف تقول ذلك ، بعد كل الجهد الذى بذلناه ، والنفقات التى تحملتها المخابرات الأسترتانية لتنفيذ هذه العملية ؟ أتأتى بكل بساطة لتطالب بإلغاء العملية ؟!

(ليفون) :

ـ إن كل الجهد والتخطيط والتكاليف التى تحملناها تصبح عديمة الفائدة ، لو أن المصريين كشفوا حقيقتك .

(توماس) :

ـ ولكن ربما أن ما لديهم لا يعدو مجرَّد شكوك ، وأن هذا الرجل لم يكشف الحقيقة بعد .

قال (كارزو) سريعًا :

- فى هذه الحالة ، فإنه من الأفضل التخلص منه فورًا ، كما قلت فى البداية .. إننا بذلك نضمن سكوته إلى الأبد ، وعدم توصله لأية حقائق .

(ليفون) :

- المشكلة لا تكمن فى قتله .. المشكلة الحقيقية هى ما إذا كانت أجهزة الأمن المصرية تعلم أن هذا المكان يدار بوساطة (الشبح) أم لا .

(توماس) :

- وحتى لو عرفوا .. إنهم بالتأكيد لا يعرفون ما الذى يُدبَّر هنا .. لا أظن ذلك الرجل ، أو سواه من المصريين ، على علم بما أعده لهم فى المعمل الرابع .

نظر إليه (ليفون) بغضب ، قائلًا :

- إنك بذلك تجعلنى أشك فى ذكائك يا عزيزى (توماس) ، فالعملية كلها مرتبطة بشخصك ، وبأن تكون فى نظر المصريين ، بل وفى نظر العالم كله ، (ديلون) صاحب معامل مستحضرات التجميل الجديدة .. أن تكون شخصًا آخر غير (توماس مالون) ، فمعرفتهم لحقيقتك سينسف العملية من أساسها ؛ لأن كل ما سيرد إليهم عن طريقك سيكون موضع شك واختبار .

(توماس) :

- إذن ننتظر حتى يسترد ذلك العميل وعيه ، ثم نعمل على إجباره على الاعتراف ، بالقدر الذى توافر لديهم من المعلومات بشأنى .

(ليفون) :

- وهل تضمن أنك تستطيع أن تعرف منه الحقيقة كاملة ؟

(توماس) :

- وهل نسيت أن لدينا وسائلنا الفريدة فى هذا الشأن ؟

قال (ليفون) ، بعد برهة من التفكير :

- حسن .. ليكن .. ولكن عليك أن تنتهى من هذا الأمر سريعًا ، حتى أبدأ فى إجراء اتصالاتى بالمخابرات الأسترتانية ، ومعرفة التعليمات الجديدة ، فى ضوء ما استجد .

(توماس) :

- أعتقد أن العملية (ج ١٣) ستسير على النحو المخطط لها .

والتفت إلى (كارزو) ، قائلًا :

- انقله إلى غرفة الاعترافات ، وأخبرنى عندما يفيق من المخدر .

(كارزو) :
ـ أمرك يا سيِّدى .
وانصرف (توماس) و (ليفون) ، فى حين بقى (كارزو) فى الغرفة ، وهو يقلب مسدسه فى يده ، وينظر إلى (ممدوح) نظرة حانقة ، وكأنه كان يتمنى لو أتيحت له الفرصة لقتله ، وإشباع ميوله الدموية ، ثم ما لبث أن غادر الحجرة بدوره ، ليستدعى بعض أعوانه ، لكى يشاركوا فى نقله إلى غرفة الاعترافات ، حسب الأوامر التى أصدرها (توماس) ..
وانتهز (ممدوح) فرصة مغادرتهم الحجرة جميعًا ، لينهض من فوق الأريكة الممدَّد عليها سريعًا ، مندفعًا نحو الحمام ، حيث تناول صابونة ، وماكينة الحلاقة الكهربائية ، وفرشاة الأسنان الخاصة به ، وأخفاها جميعًا داخل سترته ، وعندما عاد إلى الغرفة ، سمع وقع أقدام فى الخارج ، فأسرع بالتمدد على الأريكة ، متظاهرًا بأنه ما يزال تحت تأثير المخدر ، ولم تمض لحظات ، حتى دخل (كارزو) ، وبصحبته ثلاثة من أعوانه ، حيث أشار إليه قائلًا لهم :
ـ انقلوه إلى غرفة الاعترافات .

أطاع الرجال أوامر (كارزو) وقاموا بنقل (ممدوح) إلى مبنى صغير ، بالقرب من الفيلا التى يقيم فيها (توماس) ، يشبه السجن من الداخل ، وشعر بهم (ممدوح) يجلسونه فوق مقعد معدنى ، ويثبتون ساعديه فوق ذراعى المقعد ، بعد أن أسندوا ظهره إليه ، وبدا له أن هذه هى اللحظة المناسبة ، التى يعلن فيها عن استرداده لوعيه ، فرفع إحدى قدميه لأعلى بطريقة مباغتة ، ليدفع بها أحد هؤلاء الأشخاص فى صدره ، مطيحًا به إلى الخلف ، ثم قفز من المقعد ، مسددًا لكمة قوية إلى فك الثانى ، ولكن الثالث عاجله بلكمة لا تقل قوة ، جعلته يترنح إلى الوراء ، وعندئذ انقض عليه الأوَّل ، وأحاط خصره بيديه ، دافعًا إياه نحو الجدار ، ولكن (ممدوح) تمالك نفسه ، على الرغم من عنف الصدمة ، وسدَّد ضربة قوية بحدى كفيه إلى عنق مهاجمه ، جعلته يتألَّم بشدة ، وهو يضع يديه على عنقه ، ثم تفادى اللكمة الموجهة إليه من الثانى ، منحنيًا لأسفل ، وليقابله بلكمة ساحقة فى أمعائه ، جعلته يجثو على ركبتيه ، وقد احتبست أنفاسه ، وحاول (ممدوح) أن يصل إلى باب الغرفة ، ولكن رجلين من خصومه كانا أسرع منه ، بعد أن تخلصا من تأثير لكماته

القوية عليهما ، فاندفعا نحوه ، ليقبض كل منهما على أحد ساعديه ، وهما يشلان حركته ، ثم نهض الرجل الذى كان جاثيا على الأرض ، من تأثير اللكمة التى تلقاها فى أمعائه ، وتقدَم نحوه ، وفى عينيه نظرة تنم عن مدى حنقه ، وقد تطاير الشرر منهما ، ثم أخذ ينهال عليه بلكمات قوية متتالية معتمدًا على مساعدة زميليه له فى شل حركته ، وكان (كارزو) قد حضر إلى الغرفة ، ووقف فى أحد أركانها يراقب ذلك المشهد ، وفى عينيه ابتسامة تعبر عن اغتبّاطه لما يلاقيه (ممدوح) ، الذى بدأت الدماء تسيل من فمه ، الذى تورَم من تأثير لكمات الرجل ، الذى بدا فى حالة هستيرية ، وعندما هم برفع قبضته إلى أعلى ، لتسديد لكمة أخرى إلى وجه (ممدوح) ، الذى كان على وشك أن يفقد وعيه حقيقة هذه المرة ، من تأثير اللكمات ، قبض (كارزو) على رسغه ، ليحول بينه وبين الاستمرار فى ذلك ، قائلًا :

ـ لو كان الأمر بيدى لشاركتك قتله ، ولكن أوامر سنيور (ديلون) تمنع ذلك .

ثم نظر إلى الآخرين ، مردفًا :

ـ هيا .. أعيدوه إلى المقعد .

أطاعه الرجال الذين أعادوا (ممدوح) إلى المقعد المعدنى مرة أخرى ، وهم يثبتون ساعديه فوق ذراعى المقعد من جديد ، وضغط (كارزو) على زرّ صغير فى حافة المقعد ، الذى يتصل بعدد من الأسلاك الكهربائية ، فظهرت ثلاث حلقات معدنية ، فى كل ذراع من ذراعى المقعد ، لتطبق على ساعدى (ممدوح) ، وتحيط بهما تمامًا ، على نحو يعجزه عن تحريكهما ، وأمر (كارزو) الرجال الثلاثة بالانصراف ، ثم رفع سمّاعة هاتف ، فى أحد أركان الغرفة ، لكى يتصل بـ (توماس) ، قائلًا :

ـ العميل المصرى جاهز للإدلاء باعترافاته يا سنيور (توماس) .

قال (توماس) :

ـ حسن .. لا تبدأ فى عمل شىء قبل أن أحضر بنفسى .

وبعد قليل ، جاء (توماس) إلى الحجرة ، حيث وقف فى مواجهة (ممدوح) ، الذى تغلب قلقه على ألمه ، من جراء المعركة التى خاضها مع الرجال الثلاثة ، وقد شعر بأنه على وشك التعرّض لتجربة غير عادية ، وقال (كارزو) وهو يتناول مصلًا داخل زجاجة صغيرة ، ليفرغه فى محقن يمسك به فى يده :

ـ هل أبدأ ؟

أشار إليه (توماس) ، قائلًا :

ـ نعم .

اقترب (كارزو) من (ممدوح) ، حاملًا المحقن ذا الإبرة المدبَّبة ، وحاول (ممدوح) أن يتملص من القيود المعدنية ، التى تقيد ساعديه ، وتحول بينه وبين القدرة على الحركة ، ولكن (كارزو) دفع الإبرة المدببة فى ذراع (ممدوح) ، وأفرغ ما بها من سائل فى جسده ، وهنا اقترب (توماس) من (ممدوح) ، قائلًا :

ـ اسمعنى جيدًا أيها العميل المصرى .. لقد حُقِنْتَ الآن بمصل كيميائى ، نطلق عليه اسم مصل الحقيقة ، فإذا كنت مطيعًا ، وأسلمت ذهنك إلينا ، فسوف يدفعك هذا المصل إلى الإجابة بمنتهى الصدق ، على كل سؤال يُطرح عليك ، دون مواربة أو تلاعب أو إنكار .. وسيكون هذا لصالحك ؛ لأنك لو حاولت أن تبدى بعض المقاومة الذهنية ، أو لجأت إلى العناد ، فهذا المقعد المعدنى متصل بدائرة كهربائية كاملة ، ذات شحنات مختلفة ، وبالضغط على الزر الأصفر الصغير فى حافة المقعد ، يمكن أن نوصل بعض هذه الشحنات إلى جسدك ، لتصاب بصدمات كهربائية صغيرة ، ولكنها كافية لتجعلك تشعر بمعاناة وآلام قاسية ، لا طاقة لك بها ، وكلما

أبديت عنادًا ومقاومة ذهنية ، زدنا من قوة هذه الشحنات ، وربما انتهى الأمر بأن تصرعك إحداها ؛ لذا فمن الأفضل أن تسلم لى إرادتك ، وأن تجعل ذهنك مسترخيًا ومستسلمًا تمامًا ، حينما أبدأ فى طرح أسئلتى .. والآن فلنبدأ .

وبدأ الاستجواب .





١٢ ـ الصراع الرهيب ..

كان مفعول المصل قد بدأ يسرى فى جسد (ممدوح) ، عندما سأله (توماس) :

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

أجابه (ممدوح) ، قائلًا :

ـ جئت للكشف عن شخصيتك الحقيقية .

(توماس) :

ـ وما الذى تعرفه عن شخصيتى الحقيقية ؟

(ممدوح) :

ـ أعرف أنك (توماس مالون) ، الضابط بالمخابرات الأسترتانية ، والمعروف باسم (الشبح) ، ولست (ديلون) ، رجل الأعمال الفرنسى ، وصاحب مستحضرات التجميل .

(توماس) :

ـ وهل تمكنت من إبلاغ ذلك إلى رؤسائك ؟

(ممدوح) :

ـ ربَما .

ضغط (توماس) الزر الموجود فوق حافة المقعد

المعدنى ، فسرت شحنة كهربائية صغيرة فى جسد (ممدوح) ، جعلته يرتعد على الأثر ، وقال (توماس) .

ـ أريد إجابة محدودة :

ـ قال (ممدوح) ، وقد تصبَب العرق على جبينه :

ـ كلا .. لم تتح لى الفرصة لإبلاغ رؤسائى بعد .

(توماس) :

ـ وما الذى تعرفه عن العملية (ج ١٣) ؟

(ممدوح) :

ـ ليس لدى أى علم بها .

عاد (توماس) وضغط الزر ، لتسرى شحنة كهربائية أخرى فى جسد (ممدوح) ، اهتز على أثرها من الألم ، و (توماس) يكرِّر سؤاله :

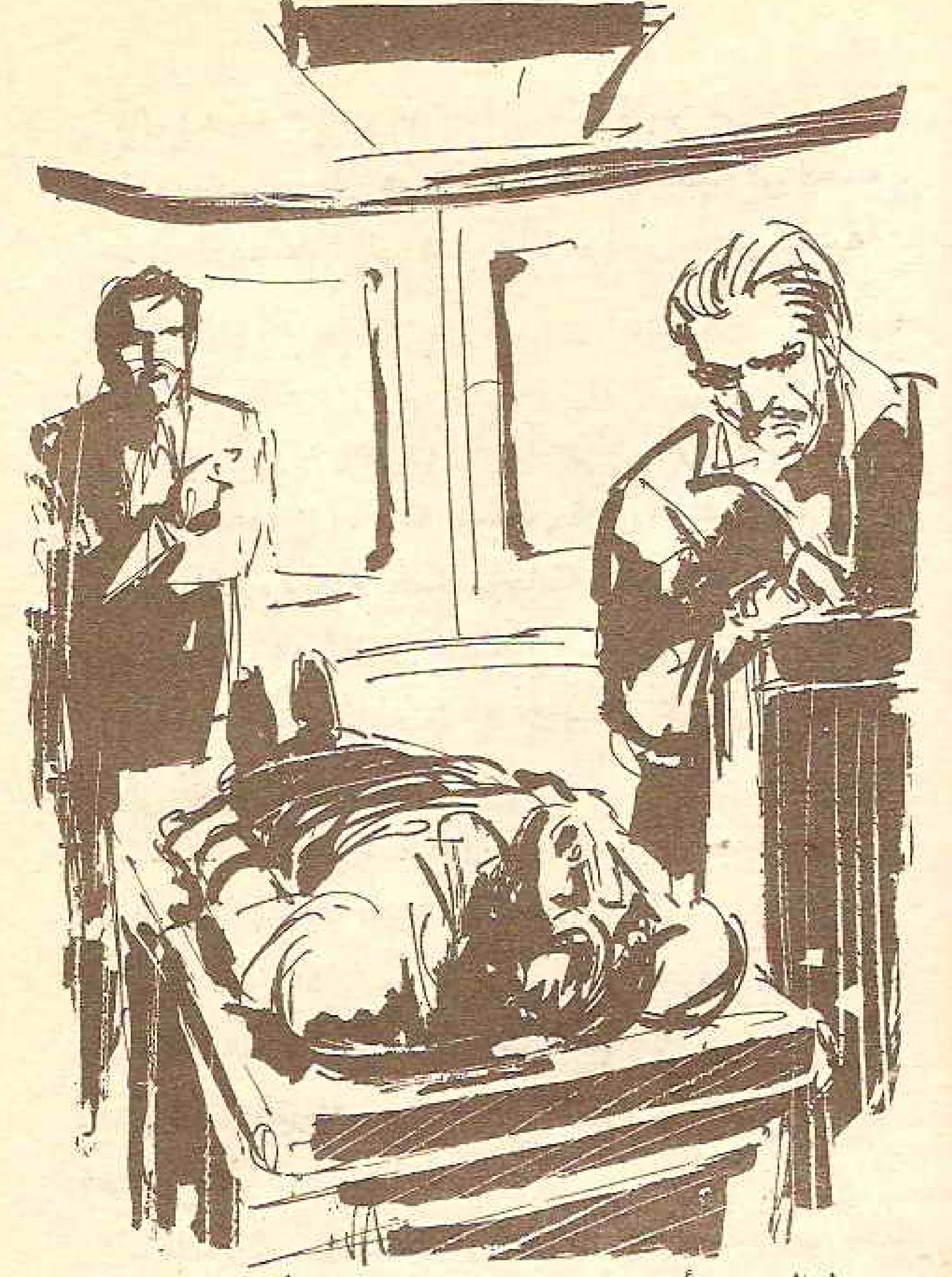
ـ قلت لك لا تحاول استخدام إرادتك ، فى مقاومة تأثير المصل والكذب علىَ

قال (ممدوح) :

ـ لم أكذب .. هذه هى الحقيقة .

قال (توماس) ، وهو يحرِّك مؤشرًا صغيرًا فى مسند المقعد من الخلف ، ليتحرك إلى درجة أعلى :

حسن .. لنختبر مدى قدرتك على المقاومة . واحتمال الألم ، ما دمت مصرًا على الكذب .



وضغط الزر مرة أخرى ، فسرت شحنة كهربائية أقوى من سابقتها ، انتفض على أثرها (ممدوح) ، واهتز جسده ..

وضغط الزر مرة أخرى ، فسرت شحنة كهربائية أقوى من سابقتها ، انتفض على أثرها (ممدوح) ، واهتز جسده ، فى حين علت صرخته وهو يقول :

ـ أقسم لك إن هذه هى الحقيقة .. إننا لا نعلم أى شىء عن تلك العملية ، التى أخبرتنى باسمها الآن .

(توماس) :

ـ إذن لماذا جئت إلى هنا ، متنكرًا فى شخصية مندوب لمؤسسة (رينيه) ؟ ما الهدف من مهمتك ؟

أجابه (ممدوح) ، وقد ازداد تصبب العرق على جبينه ، فى حين بدت ملامح الألم والمعاناة واضحة على وجهه :

ـ كان الهدف هو كشف شخصيتك الحقيقية ، ومعرفة أى أمر تدبره فى هذا المكان .

(توماس) :

ـ وهل لديك شركاء فى هذه العملية ؟

(ممدوح) :

ـ كلا .. إننى هنا بمفردى .

(توماس) :

ـ يبدو أننى مضطر لدفع الكهرباء إلى جسدك مرة أخرى ، وسوف ارفع المؤشر إلى درجة أعلى ، قد يكون فيها القضاء عليك .

قال (ممدوح) ، وهو يشفق على نفسه من الألم الذى عاناه ، بسبب سريان هذه الشحنات الكهربائية فى جسده :

ـ لست مضطرًا إلى هذا ، فأنا لم أذكر سوى الحقيقة .

(توماس) :

ـ فلنجرب .

وضغط الزر ، بعد أنِ رفع المؤشر إلى أعلى درجة ، وصرخ (ممدوح) ، وهو ينتفض فوق مقعده ، وقد أحس بألم لا يطاق ، ولكنه تمسك بإجابته ، على الرغم من شدة الألم ، وعلى الرغم من اضطراره للكذب هذه المرة ..

وأخيرًا قال (توماس) ، وهو يبتعد عن الزر الموصل للتيار الكهربائى :

ـ حسن .. سأتركك الآن ، ولكننى سأعود إليك مرة أخرى ، وسأعاود طرح الأسئلة ، وتلقى الإجابة منك ، فما يزال لدى الكثير ، مما أرغب فى معرفته ، وسيتحدد مصيرك بالنسبة لى ، على ضوء إجابتك .

ثم غادر الغرفة ، وفى أثره (كارزو) ، الذى التفت إلى (ممدوح) ، قائلًا :

ـ مصيرك سيتحدد على يدى أيها المصرى ، وذلك حينما ينتهى سنيور (توماس) منك .

كان (ممدوح) فى حالة يرثى لها من الإنهاك ، وقد اكتسى وجهه بقطرات العرق الغزير ، وتدلى رأسه فوق صدره ، وحاول أن يبذل جهده فى تحرير ساعديه ، من الحلقات المعدنية التى تكبلهما ، أو تحريك المقعد الجالس عليه دون جدوى ، فقد كان المقعد مثبتًا فى الأرض ، والقيود المعدنية مطبقة على ساعديه ، وتمنعهما من الحركة ..

لقد أصبح يواجه خطرًا حقيقيًا ، فعندما ينتهى (توماس) من استجوابه ، والحصول على كل ما يريده من معلومات ، سيعمل على القضاء عليه بوساطة ذلك الرجل المتعطش للقتل (كارزو) ، والذى يأمل فى القضاء عليه ، ويرغب فى ذلك بحماس ..

ومرت ربع الساعة على (ممدوح) ، وهو غارق فى أفكاره ، محاولًا البحث عن مخرج من هذا المأزق العصيب ، الذى وجد نفسه فيه .

وبينما هو مستغرق فى أفكاره ، وقد أضناه التفكير ، إذا بباب الغرفة يُفتح ، لتدخل منه (ماريا) ، التى بدت مضطربة ، وهى تقترب منه قائلة :

ـ ما الذى فعلوه بك ؟

(ممدوح) :
ـ لا يهم .. المهم أن تحررينى من هذه القيود سريعًا .
قالت ، وقد بدت ملامح الخوف على وجهها وصوتها :
ـ إننى بذلك أرتكب مخاطرة كبيرة .
قال لها (ممدوح) بغضب :
ـ إذن .. لماذا جئت ؟
(ماريا) :
ـ لا أدرى .. لقد علمت أنهم نقلوك إلى غرفة الاعترافات ، وأشفقت عليك مما يدور فى هذه الغرفة ، وما يلجئون إليه من وسائل تعذيب .
(ممدوح) :
ـ مجرد مجيئك إلى هنا ، ينطوى على قدر كبير من المخاطرة .
(ممدوح) :
ـ لقد تحايلت على (كارزو) وسرقت منه مفتاح الغرفة ؛ لكى أحضر إليك .
(ممدوح) :
ـ إذا كان كل هدفك من الحضور هو رؤيتى على هذه الحال ، فقد رأيتنى ، ويمكنك أن تعودى الآن ، قبل أن يلحظ

(كارزو) ما فعلته ، أما إذا كنت تهدفين حقًا إلى مساعدتى ، فحررينى من هذه القيود .
قالت (ماريا) بتردّد :
ـ إننى أرغب فى مساعدتك بالفعل ؛ فشعورى نحوك كان صادقًا ، ولكننى أخشى ما سوف يفعلونه بى ، لو عرفوا أننى مكّنتك من الهرب .
وفى تلك اللحظة ظهر (كارزو) ، عند الباب ، وعلى وجهه ابتسامة وحشية ، قائلًا :
ـ إنك بالفعل فتاة عاقلة يا (ماريا) ؛ لذا فلن تفعلى شيئًا كهذا ، وإلا حكمت على نفسك بالموت .
قال (ممدوح) متوسّلًا :
ـ (ماريا) .. لا تأبهى له .. اضغطى هذا الزر أسفل المقعد ، لتحررينى من قيودى .
أخرج (كارزو) مسدسه ، وأخذ ينقله بين كفيه ، قائلًا لها بسخرية :
ـ هيا .. يا(ماريا) .. افعلى ذلك فتلقى حتفك فى التو واللحظة .
وقفت الفتاة جامدة فى مكانها ، وهى ترتعد من الخوف ، فى حين بسط لها (كارزو) يده ، قائلًا :
ـ هيا يا عزيزتى :. أعيدى إلىّ المفاتيح التى سرقتها ، واسبقينى إلى غرفتك ، حتى ألحق بك .

ظلت الفتاة جامدة فى مكانها ، وهى فى حالة من التردّد ، فى حين تبدّلت سلامح (كارزو) ، لترتسم فى عينيه ملامح الغضب ، وهو يقول لها :

ـ هيا أيتها الفتاة .. لا تثيرى غضبى ، فأنت تعرفيننى جيّدًا .

قذفت (ماريا) سلسلة المفاتيح فى أحد أركان الغرفة ، دون أن تسلمها إليه فى يده كما طلب منها ، فنظر إليها ، وعيناه تقدحان شررًا ، وقال :

ـ ستدفعين ثمن ذلك .. تأكدى أننى سأضيفه إلى حسابك .

ثم تحرّك نحو المفاتيح الملقاة على الأرض ، ليلتقطها بيده ، وفى تلك اللحظة ضغطت (ماريا) الزر الموجود أسفل مقعد (ممدوح) ، منتهزة انشغال (كارزو) عنها بالتقاط المفاتيح ، فانفتحت الحلقات المعدنية التى تطبق على ساعديه ، ولم يكن أمام (ممدوح) ثانية واحدة ليضيعها ، فقبل أن ينتهى (كارزو) من انحناءته لالتقاط سلسلة المفاتيح ، كان قد قفز فى خطوتين واسعتين تجاهه ، وقبل أن يزول تأثير المفاجأة عليه ، ويبدأ فى استخدام مسدسه ، كان (ممدوح) قد وثب فوقه فى لمح البصر ، ليطيح به أرضًا ، ويطيح بالمسدس من يده ..

وكان (كارزو) من القوة ، بحيث دفع (ممدوح) إلى أعلى بذراعيه .. ثم ألقى به على ظهره ، وحاول أن يلتقط مسدسه من جديد .. قبل أن ينهض (ممدوح) من سقطته ، ولكن هذا الأخير وضع ساقه أمام قدميه ليخل بتوازنه ، ويجعله يهوى إلى الأرض مرة أخرى ، ثم دفع مقدّمة حذائه مرة أخرى ، ليقذف المسدس بعيدًا عن متناول يديه ، ودار صراع عنيف بين الاثنين ، فى حين انكمشت الفتاة فى أحد أركان الغرفة ، وقد تملكتها حالة من الخوف والفزع ، وأخذ (ممدوح) و (كارزو) يتبادلان اللكمات ، وقد ترنح (ممدوح) على إثر إحداها ، فانتهز (كارزو) الفرصة ليقبض على رأسه بيديه ، ثم أخذ يضربه بشدة فى الحائط ، حتى كاد (ممدوح) يغيب عن الوعى ..

وفى تلك اللحظة تحرّكت (ماريا) لالتقاط المسدس من الأرض ، محاولة استخدامه لتهديد (كارزو) ، حتى يتوقّف عن محاولته لتحطيم رأس (ممدوح) ، وكانت حالة من الانفعال والقسوة قد تملكت (كارزو) ، وجعلته يواصل دفع رأس (ممدوح) لتصطدم بالجدار ، وقد بدا أنه مصمّم على القضاء عليه بهذه الطريقة ، ولكنه تخلّص من تلك الحالة الهستيرية التى تملكته ، والتى تعبر عن طبيعته الدموية ،

التى تميل إلى القسوة ، حينما لمح الفتاة وهى تحاول التقاط المسدس من الأرض ، فتخلى عن (ممدوح) ، واندفع نحو الفتاة ، مصوبًا إليها لكمة قوية ، أطاحت بها أرضًا ، وهى تصرخ من الألم ، فى حين بدا (ممدوح) على وشك السقوط على الأرض ، التى بدأت تميد تحت قدميه ، وقد سالت الدماء من حاجبيه ..

وركل (كارزو) الفتاة بقدمه فى قسوة ، قائلًا :

ـ لقد حكمت على نفسك بالموت هذه المرة ، بعد أن أنقذتك منه من قبل .

ثم تناول مسدسه ، ليصوبه فى اتجاهها ، وكان على (ممدوح) أن يتحامل على نفسه ، على الرغم من حالة الإعياء التى كان يبدو عليها ، فقد كانت هذه فرصته الأخيرة لإنقاذ نفسه ، وإنقاذ الفتاة من هذا الرجل ، المتعطش للقتل وسفك الدماء ، فاندفع بكل ما تبقى لديه من قوة ليهاجمه من الخلف ، وقد أحكم قبضته على رسغ غريمه ، رافعًا يده القابضة على المسدس إلى أعلى ، فى حين أحاط عنقه بيده الأخرى ، ولكن (كارزو) قاومه بشدة ، دافعًا مرفقه فى صدره ، الذى ما يزال منهكًا ، بسبب ما تعرض له من ارتجاج بسيط بسبب الصدمات التى تلقاها فى رأسه ، من ارتطامها بالجدار .

وتمكن (كارزو) من تحرير نفسه من قبضة وساعد (ممدوح) ، ثم استدار إليه مصوبًا مسدسه فى اتجاهه ، ولكن (ممدوح) عاجله بلكمة ، أودعها كل قوته ، فترنح على إثرها ، ليسقط على المقعد المعدنى ، وقد ارتكز بساعده ، الذى يحمل المسدس ، على إحدى ذراعى المقعد ، وعندئذ انتهز (ممدوح) الفرصة ، قبل أن يتخلص (كارزو) من تأثير اللكمة ، فضغط الزر الموجود أسفل المقعد ، مما جعل الحلقات المعدنية تطبق على ساعد (كارزو) ، ولم يجد (ممدوح) بعد ذلك صعوبة فى استخلاص المسدس منه ، وتقييد ساعده الآخر إلى ذراع المقعد ، ثم ساعد الفتاة على النهوض ، ليمسح الدماء التى سالت من شفتيها ، طالبًا منها أن تقف عند باب الغرفة ؛ لتراقب مدخلها ، وتنذره إذا ما أقبل أحد الأشخاص ، ثم تحول إلى (كارزو) ، الذى بدا فى حالة من الارتباك والهلع ..

وبدأت مرحلة استجواب جديدة .

★ ★ ★

١٣ ـ خطة (الشبح) ..

قال (ممدوح)، وهو يدنى إصبعه من زر التوصيل الكهربائى :

ـ والآن جاء دورى يا عزيزى، لكى ألعب معك نفس اللعبة، التى كان يلعبها معى رئيسك .. الاختلاف الوحيد هو أنه لايوجد لدينا مصل، كالذى استخدمته فى حقنى، ولكن يمكننى أن أجبرك على الإدلاء بما أريده من معلومات حقيقية، باستخدام وسائل أخرى قد تكون أكثر فاعلية، مثل زيادة الشحن الكهربائى، أى البدء من الدرجة التى انتهى إليها رئيسك ..

قال (كارزو) بغضب، وقد احتقن وجهه :

ـ لا تلعب معى هذه اللعبة أيها الوغد .

قال (ممدوح)، ساخرًا :

ـ ما دمتم قد بدأتموها، فلا مجال للتراجع أو الانسحاب الآن ..

قل لى : ما الذى تدبرونه فى المعمل الرابع ؟ وما هى العملية (ج ١٣) التى كلفت المخابرات الأسترتانية (توماس) إياها ؟

(كارزو) :

ـ لا علم لى بذلك .. مهمتى تنحصر فى التخلص من أولئك الأشخاص، الذين يرغب (توماس) فى إزاحتهم عن طريقه فقط، أما الأمور الأخرى، فلا أعرف عنها شيئًا .

هزّ (ممدوح) رأسه، قائلًا :

ـ حسن .. فلننشط ذاكرتك إذن .

وضغط زر التوصيل الكهربائى، فاندفعت شحنة كهربائية عبر الأسلاك المتصلة بالمقعد المعدنى، اهتز لها (كارزو) بشدة، مطلقًا صرخة عالية، وقال له (ممدوح)، وهو يرفع إصبعه عن الزر الكهربائى :

ـ ما رأيك .. هل نشطت ذاكرتك، أم نجرى محاولة أخرى ؟

صاح (كارزو) بانفعال يمتزج بالألم :

ـ قلت لك : لا أعرف شيئًا .. تلك الأمور من اختصاص (توماس) وحده .

قال له (ممدوح)، وهو يحرك المؤشر إلى درجة أعلى :

ـ حسن .. أعتقد أنك بحاجة إلى محاولة أخرى لتنشيط ذاكرتك .. وإن كان من المحتمل أن تكون قاتلة هذه المرة .

ثم همَّ بوضع إصبعه فوق الزر الكهربائى، ولكن (كارزو) صرخ، قائلًا :

ـ انتظر .. سأخبرك بكل شىء .

تراجع (ممدوح)، وهو يقف أمامه، قائلًا :

ـ حسن .. كلى آذان صاغية .. ولكن أسرع ؛ لأن وقتى ضيق .

قال (كارزو) باستسلام :

ـ العملية (ج ١٣) تهدف إلى تحضير نوع من العطور، التى تحمل علامة (ديلون)، وهو الاسم المزيف لـ (توماس مالون)، عميل المخابرات الأسترتانية، وتصدير كميات كبيرة منها بأسعار زهيدة، تقل كثيرًا عن مثيلاتها فى السوق العالمى، إلى بعض الدول، وعلى رأسها (مصر) .

(ممدوح) :

ـ وما الذى يعنيه ذلك ؟

(كارزو) :

ـ ذلك النوع من العطور تم إعداده بوساطة كيميائيين وصيادلة متخصصين، لكى يكون من أرقى الأنواع، التى تنافس مثيلاتها من العطور الفرنسية، ولكن أخطر ما فيه

أنه يحتوى على مادة كيميائية خاصة، تنفذ إلى الجهاز العصبى سريعًا، عن طريق الاستنشاق، وتبقى كامنة فيه لمدة عشرين يومًا، دون أن يظهر لها أى تأثير على الشخص الذى استنشقها، وبعد العشرين يومًا، تبدأ فى إحداث تأثيرها، ويأتى ذلك على مراحل، تبدأ أوَّلًا بضعف جزئى للذاكرة، ثم عدم القدرة على التركيز، ثم يتصرف المرء بطريقة غير طبيعية، ويبدأ فى اتخاذ قرارات عكسية غير مفهومة، وينتهى به الأمر إلى العتا و التخلف العقلى، على نحو يصعب علاجه .

(ممدوح) :

ـ إنه السم فى العسل .. يا له من مخطَّط شيطانى، إذن فهذا ما يشرف (توماس) على إعداده فى المعمل الرابع .

(كارزو) :

ـ نعم .

(ممدوح) :

ـ وماذا عن مستحضرات التجميل الأخرى والتوكيل الخاص بشركة (رينيه) الفرنسية ؟

(كارزو) :

ـ كلها مستحضرات حقيقية، والهدف منها تغطية

العملية الحقيقية ، الخاصة بإعداد مستحضر (ديلون) ، والذى يحتوى على عقار الهلوسة ، فعندما نعمل من خلال مؤسسات لها اسمها فى ذلك المجال ، مثل مؤسسة (رينيه) ، فذلك كفيل بإبعاد الشبهات عن عملية (توماس) .

قالت الفتاة ، التى كانت تستمع لما يقوله (كارزو) فى ذهول :

- أؤكد لك أننى لم أكن أعلم شيئًا عن حقيقة هذه العملية .

(ممدوح) :

- إننى أصدقك ، فشخص مثل (توماس) لابد أن يكون حريصًا على أن يحتفظ بتفاصيل هذه العملية ، فى أضيق نطاق .

(ماريا) :

- ولكن هناك كميات ضخمة من الصناديق الكرتونية ، تم إعدادها فى المصنع ، للتصدير إلى (مصر) ، ومدوّن عليها أنها هدايا مجانية .

تحوّل (ممدوح) إلى (كارزو) ، قائلًا :

- هل أردتم تصدير هذا العطر الشيطانى ، فى صورة هدايا مجانية أيضًا ؟

(كارزو) :

- كان هذا هدف (توماس) النهائى ، لكى يضمن إحداث أكبر تأثير لعقار الهلوسة ، فقد اتفق مع صاحب التوكيل ، الذى سيقوم باستيراد مستحضرات التجميل التى ينتجها (توماس) ، والذى يعتقد أنه حصل على صفقة العمر ، للتسهيلات الخيالية التى منحها له ، والأرباح الهائلة التى يعتقد أنه سيجنيها من وراء هذه الصفقة ، التى لا يعلم عن حقيقتها شيئًا ، أن يقوم بتوزيع مليون زجاجة عطر كهدايا مجانية ، خارج إطار الصفقة ، كما أخبره أنه سيرسل مندوبًا عنه ، للتأكد من تنفيذه لهذا الشرط ، وإلا ألغى العقد الموقع بينهما ، وألزمه بالشرط الجزائى ، الذى ينطوى على دفع مبلغ ضخم ، فى حالة عدم التزامه بتوزيع هذه الهدايا المجانية ، وقد حدّد بعض الشخصيات الهامة ، وعددًا من المسئولين ، فى العديد من المراكز الصناعية والإنتاجية ، والوزارات بوجه خاص ، لتوزيع بعض هذه العطور المجانية عليهم ، وأفهمه أن الغرض من هذا هو عمل دعاية لمنتجه الجديد ، والترويج له فى السوق المصرية ، وأن هذا فى صالحه ، كما هو فى صالح (توماس) .

(ممدوح) :

ـ بالطبع .. فإحداث خلل عقلى لدى المسئولين ، ممن يتولون مراكز دقيقة وحساسة فى المجتمع المصرى ، كفيل بإصدار قرارات غير مسئولة ، ستؤدى بلا شك إلى خسائر فادحة فى الإنتاج الصناعى والزراعى ، وفى مجالات أخرى عديدة ، كفيلة بتحطيم الاقتصاد المصرى ، وستكون الخسارة أكثر جسامة ، لو امتد الأمر إلى بعض الجهات الأمنية ، ووزارة الدفاع ، بالإضافة إلى المليون شخص ، المقدَّر لهم الإصابة بالعته والتخلف العقلى فى النهاية ، وكل ذلك تحت ستار الدعاية ، والترويج لهذا العطر الجديد !!.. أية كارثة يمكن أن تلحق بشعبنا ، لو قُدِّر لهذا المخطَّط أن ينفذ ؟!

وأمسك بياقة سترته بانفعال ، قائلًا :

ـ هل بدأتم فى تصدير هذا المستحضر بالفعل ؟

أجابه (كارزو) :

ـ كلَا .. التجارب الأخيرة بشأنه تتم الآن فى المعمل الرابع ، قبل تجهيزه للتصدير .

تناول (ممدوح) من جيبه تلك الصابونة ، التى أخذها من حمام غرفته ، قَبض عليها بكلتا يديه ، ثم أدارها من

منتصفها ، ليكشف عن قنبلة داخلها ، وقام بتوصيل عدد من الأسلاك فيها ، ثم أعادها إلى جيبه ، ثم تناول ماكينة الحلاقة الكهربائية ، ونزع غطاءها العلوى ، كاشفًا جهازًا لاسلكيًا داخلها والفتاة تنظر إليه بدهشة ، وأجرى اتصالًا لاسلكيًا ، حيث كانت هناك مجموعة من الأشخاص تترقَّب هذا الاتصال ، فى أحد المنازل القريبة من البحر ، وقال لهم (ممدوح) :

ـ من النسر إلى الفهد الأسود .. هل تسمعنى ؟

أجابه الشخص القائم على جهاز الاستقبال :

ـ أسمعك بوضوح .. حول .

(ممدوح) :

ـ أما يزال الفريق موجودًا بالجزيرة ؟

ورد عليه المستقبل ، قائلًا :

ـ نعم .. على بعد خمسمائة متر فقط من موقعك .

(ممدوح) :

ـ حسن .. استعدوا للهجوم وتنفيذ العملية ، وإذا ما قدر لى أن أقتل ، قبل اقتحامكم الوكر ، وقبل أن أتمكن من تدمير المعمل رقم أربعة ، فعليكم تدميره بأية وسيلة .

أجابه زميله ، وقد التف حوله بقية الزملاء الآخرين :

ـ عُلِمَ وسينفَّذ .. حول .

(ممدوح) :

ـ عليكم الاتصال أيضًا بالمباحث الأسبانية ، لإطلاعها على الأمر ، قبل أن تقوموا بعملية الاقتحام .

أجابه صاحب الصوت :

ـ كنا نفضل أن تؤجل إقحام الشرطة الأسبانية فى هذا الأمر ، فقد يعوق هذا عملنا .

(ممدوح) :

ـ اطمئنوا .. إنهم لن يعوقوا عملكم ، خاصة عندما يعلمون أن أحد رجالهم قد لقى حتفه ، على يد (الشبح) وأعوانه ، بل سيساندونكم فى التنفيذ ، إذا ما تمكنوا من اللحاق بكم ، فالمقاومة هنا لن تكون هينة .

رد عليه زميله :

ـ حسن .. إننا جاهزون للتنفيذ .

أنهى (ممدوح) الاتصال ، قائلًا :

ـ وفقكم الله .

قالت الفتاة مندهشة :

ـ لم أكن أظن أن أدوات الحمام ستستخدم على هذا النحو الغريب .

(ممدوح) :

ـ ماذا أفعل ؟ كان علىَ أن أحتفظ بهذه الأشياء فى الحمام ، لكى أستخدمها بحرية ، وفى الوقت المناسب ، وأنت تراقبين غرفتى طوال الوقت .

(ماريا) :

ـ هل كنت تعلم ؟

(ممدوح) :

ـ نعم .. ولكن هذا ليس وقت مناقشة هذا .

وسأل (كارزو) ، قائلا :

ـ أين (توماس) ؟

(كارزو) :

ـ إنه فى المعمل الرابع ، ليطلع بنفسه على التجارب الأخيرة للمستحضر .

(ممدوح) :

ـ حسن .. ستقودنى إليه .

قال (كارزو) باستنكار :

ـ ماذا ؟

حرك (ممدوح) الخاتم الموجود فى إصبعه ، فبرزت منه إبرة معدنية مدببة ، قام بدفعها سريعًا فى عنق

(كارزو) ، الذى فزع من هذا التصرف المباغت ، فى حين استطرد (ممدوح) :

ـ كما سمعت .

سأله (كارزو) فى هلع :

ـ ماذا فعلت بى ؟

(ممدوح) :

ـ لقد حقنتك الآن بسم ، يبدأ تأثيره فى الظهور بعد عشر دقائق من الآن .

ثم وضع يده فى جيبه ، ليخرج منه كبسولة صغيرة ، قائلًا :

ـ ولا شىء ينقذك من هذا السم ، سوى تلك الكبسولة التى تراها ، والتى ستبقى بين أصابعى وأية محاولة منك للخداع أو المقاومة ، ستعنى أن أضغط على هذه الكبسولة بإصبعى ، وفى هذه الحالة ، فالسائل الموجود داخل الكبسولة ينفجر ، ثم يصبح عديم الفائدة تمامًا ، لأنه يفسد إذا ما تعرَّض إلى الهواء الخارجى ، وهذا يعنى أنه من الأفضل لك ألا تضيع الوقت ، وأن تسرع باصطحابى إلى رئيسك (توماس) ، حتى يمكنك ابتلاع هذه الكبسولة ، قبل انتهاء الدقائق العشر ، وإنقاذ حياتك .

هتف (كارزو) :

ـ أنت تكذب .

ضغط (ممدوح) الزر ؛ ليحرر ذراعه من الحلقات المعدنية التى تقيده ، قائلًا :

ـ هل تخاطر بذلك ؟

بدا (كارزو) غير مستعد للمخاطرة ، إذ قال بلهفة :

ـ هيا فلتصحبنى سريعًا إذن .

غادر (كارزو) الغرفة بصحبته (ممدوح) و (ماريا) ، وسهَّل لهما المرور بين الحراس المسلحين ..

والواقع أن (ممدوح) كان يكذب على (كارزو) ، إذ أن الإبرة التى حقنه بها كانت تحتوى على مخدر ، وليس على سم ، وإن كان مقدرًا لها أن تؤتى مفعولها خلال عشر دقائق بالفعل ، وهمس (ممدوح) قائلًا لـ (ماريا) :

ـ هل جربت من قبل قيادة طائرة هليكوبتر ؟ أعنى تلك الطائرة التى يحتفظ بها (كارزو) هنا ؟

أجابته قائلة :

ـ كلا .. ولكن قائدها حاول التودّد إلىَّ أكثر من مرة .

(ممدوح) :

ـ حسن .. فلتذهبى إليه الآن ، وادعى الله أن تجديه ، ثم حاولى أن تقنعيه بأن يدربك على قيادتها .

(ماريا) :

ـ وبعد ذلك .

(ممدوح) :

ـ وبعد ذلك ، حاولى أن تجعلى محركها دائرا ، أو على الأقل حاولى أن تديريه حتى ألحق بك .. هذا إذا ما تمكّنت من ذلك .

(ماريا) :

ـ وماذا لو لم أعثر عليه ، أو أتمكن من التأثير عليه لإدارة محرك الطائرة ؟

(ممدوح) :

ـ كونى قريبة منها على أية حال ، فهذه وسيلتنا الوحيدة الآن للهرب .

(ماريا) :

ـ سأحاول .

واتجهت إلى حيث تربض الطائرة ، فى حين سار (ممدوح) بصحبة (كارزو) ، الذى كان يسرع الخطى فى اتجاه المعمل ، وحينما أبدى أحد رجال الحرس المحيطين بالمعمل اعتراضه ، لدى رؤيته لـ (ممدوح) ، أشار له (كارزو) بأن يفسح الطريق ، وواصل طريقه داخل المعمل ..

وكان (توماس) واقفًا فى هذه اللحظة ، وسط مجموعة من الكيميائيين بمعاطفهم البيضاء ، يتابعون التجارب الأخيرة ، لعطر (مالون) الشيطانى ، وعندما رأى (كارزو) يدخل بصحبة (ممدوح) ، أطلّت من عينيه نظرة تحمل الدهشة والغضب ، وهو يقول :

ـ ما معنى هذا ؟.. كيف غادر هذا الرجل سجنه ؟.. وكيف جسرت على أن تصطحبه إلى هنا ؟

قال (كارزو) متلعثمًا :

ـ لقد أجبرنى .. على .. على ..

ثقل لسانه ، ثم ما لبث أن تهاوى على الأرض ، تحت تأثير المخدر .

وكان (ممدوح) قد نجح ، فى أثناء دخوله المعمل ، فى دسّ القنبلة التى تختفى داخل الصابونة المزيفة ، أسفل إحدى موائد المعمل ، دون أن يلحظه أحد ، فقال موجهًا حديثه إلى (توماس) :

ـ صديقك أصبح الآن مخدّرا تمامًا ، كما أردت أن تفعل بى .

قال (توماس) للرجال الموجودين داخل المعمل :

ـ اقبضوا عليه .

ولكن (ممدوح) أسرع بإخراج فرشاة الأسنان ، التى يحملها فى جيبه ، ونزع نصفها العلوى ، كاشفًا عن شىء يشبه رأس المسمار ، فى نصفها السفلى ، الذى احتفظ به فى يده ، وقال لهم :

ـ قبل أن يقدم أحدكم على أية حماقة ، هل تعرفون ما هذا ؟.. إنه زرّ تفجير قنبلة أخفيتها خلسة فى هذا المكان ، وهذه القنبلة ستنفجر ، إما بعد مرور خمس دقائق من الآن ، وإما بضغطة من إصبعى على هذا الزر ، وأفضل شىء تفعلونه الآن ، هو أن تسرعوا بمغادرة المعمل ، وإلا لقيتم حتفكم جميعًا .

نظر إليه الجميع بشىء من التوتّر والتردّد ، فهتف بهم (توماس) :

ـ لا تصدقوه .. إنه يحاول أن يخيفكم .

(ممدوح) :

ـ بل أحاول أن أنقذكم ، على الرغم من أنكم لا تستحقون الرحمة ؛ لاشتراككم فى إعداد هذا العطر الشيطانى ، الذى تريدون أن تدمروا به عقول الملايين .

ولم تفلح أوامر (توماس) فى إثناء الرجال هذه المرة ، فاندفعوا إلى خارج المعمل فى هلع ، وهم يتزاحمون

ويتخبط بعضهم فى البعض ، فلم يكن هناك وقت بالنسبة لهم ، حتى للبحث عن مكان القنبلة ، فى حين بقى (ممدوح) محتفظًا بالمفجِّر فى يده ، وهو يعلم أنه الوسيلة الوحيدة لتفجير القنبلة ، التى لم تكن مزوَّدة بتوقيت زمنى ، أو بأية وسيلة أخرى للتفجير ، كما أدخل فى روع الرجال ، ولقد تناول بيده الأخرى المسدس ، الذى كان يحمله فى جيبه ، والذى استولى عليه من (كارزو) ، ليصوبه نحو (توماس) ، قائلًا :

ـ أما أنت فستأتى معى أيها الشبح ، لتلقى الجزاء الذى تستحقه ، على كل ما اقترفته يداك .

قال (توماس) ، الذى بقى واقفًا فى مكانه :

ـ هل تظن ذلك ؟

(ممدوح) :

ـ عمليتك انتهت ، وخطتك أصبحت معروفة ، وبعد قليل ستجد العشرات هنا ، يقتحمون مملكتك ، ويضعون نهاية لمشروعك الشيطانى .

(توماس) :

ـ ولكنكم لن تنجحوا فى القضاء على (الشبح) .. لقد سُمّيت بالشبح ، لأننى أفلح دائمًا فى الهروب ، فى مثل هذه اللحظات الحاسمة .

ثم حرَّك قدمه اليمنى حركة جانبية ، ليضغط زرًا صغيرًا ، كان يختفى أسفل إحدى الطاولات الخشبية فى المعمل ، فهوى سريعًا من سقف الحجرة حاجز معدنى ، فصل بين (ممدوح) و (توماس) ، ولم يكن أمام (ممدوح) الوقت ، للبحث عن وسيلة لتحريك هذا الحاجز المعدنى ، أو كشف الوسيلة التى نجح بها (توماس) فى الهروب .. فقد كان عليه ، قبل كل شىء أن ينتهى من أمر هذا المعمل الملعون ، وأن يسرع بمغادرة المكان ..

واندفع (ممدوح) سريعًا خارج المعمل ، حيث حاول أحد الحراس أن يعترضه ، شاهرًا سلاحه فى وجهه ، ولكن (ممدوح) عاجله برصاصة ، جعلته يهوى صريعًا ، وفى أثناء ركضه فى الاتجاه الذى توجد فيه الطائرة ، ضغط زرَّ التفجير ، فانفجر المعمل ، محدثًا دويًا هائلًا ، أطاح بكل ما فيه ، وعلى الأثر سمع (ممدوح) صوت طلقات متوالية ، فعرف أن زملاءه الانتحاريين قد بدءوا فى اقتحام المكان ، ومواجهة أعوان (توماس) .

وعندما وصل (ممدوح) إلى موقع الطائرة ، كان صوت الانفجار وطلقات الرصاص قد جذبا انتباه قائدها ، الذى نجحت (ماريا) فى التأثير عليه بالفعل ، ليشرح لها طريقة

إدارة محرِّك الطائرة ، فغادرها متجهًا نحو الهاتف الداخلى ، ليعرف ما الذى يدور فى تلك المنطقة المحيطة بالمصنع والمعامل ، وسبب الانفجار ، فى حين بقيت (ماريا) داخل الطائرة ، جالسة أمام عجلة القيادة ، ولمح الطيار (ممدوح) ، وهو يركض فى اتجاه الطائرة ، التى كانت تستعد للإقلاع ، فترك الهاتف ، واندفع خلفه ، هاتفًا :

ـ إلى أين تذهب ؟ انتظر مكانك .

وهتفت (ماريا) لـ (ممدوح) ، قائلة :

ـ احترس .

وعلى الفور ، استدار (ممدوح) ، وهو يلقى نفسه على الأرض ، ليتفادى الرصاصة التى صوَّبها إليه الطيار ، محاولًا منعه من الوصول إلى الطائرة ، وقبل أن يعاجله برصاصة أخرى ، كان (ممدوح) قد تمكَّن من تصويب رصاصة محكمة ، من المسدس الذى استولى عليه ، وهو راقد على الأرض ، أصابت كتف الطيار ، فخرّ على الأرض جاثيًا على ركبتيه ، وقد سقط منه مسدسه ، فى حين أسرع (ممدوح) بالنهوض ، مواصلًا ركضه ، ثم وثب داخل كابينة القيادة ، فى أثناء إقلاع الطائرة العمودية ..

وبينما كانت الطائرة تحلق فوق المياه المحيطة بالجزيرة ، كان (توماس) يقود زورقًا بخاريًا ، استخدمه فى الهرب ، محاولًا الابتعاد عن الجزيرة بدوره ، وعندما لمح الطائرة العمودية ، وهى تحلق فوق المياه ، أسرع بقيادة الزورق فى اتجاه مجموعة من الصخور المرجانية ، ليختفى بزورقه بينها ، وما أن لمح الطائرة وهى تبتعد ، حتى عاد لإدارة محرك زورقه مرة أخرى ، ليشق به المياه ، مواصلًا طريق الهرب ، وقد أخذ يلوح بقبضته فى غضب ، قائلًا :

- سنلتقى مرة أخرى أيها المغامر المصرى .. وستعرف كيف يكون الانتقام ..

انتقام الشبح .

★ ★ ★



[تمت بحمد الله]

المؤلف



أ . شريف شوق

وكر الشبح

وقبل أن يستعيد الرجل قدرته على الإبصار ، كان (ممدوح) قد عاجله بلكمة عنيفة فى وجهه ، ثم قبض على ساعده ، ليدفع جبهته بقوة فى أحد جذوع الأشجار المحيطة بالمبنى ، فسقط غريمه على الأرض فاقد الوعى .

٦١

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

العدد القادم
صاعقة الموت

الثمن فى مصر ١٠٠ ص وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم